الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص حضارة عربية إسلامية

a2013
Fac11To2012

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستير

الموسومة بـ:

الأبعاد الحضارية في فكر عبد الحميد بن باديس الإصلاحي

إعداد الطالبة:

فتيحة معط الله

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد مرتاض

السنة الجامعية

1432هـ - 1433هـ / 2011م - 2012م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستير

الموسومة بـ:

الأبعاد الحضارية في فكر عبد الحميد بن باديس الإصلاحي

إعداد الطالبة:

فتيحة معط الله

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد مرتاض

السنة الجامعية

1432هـ - 1433هـ / 2011م - 2012م

TA5 .S93 .G3 /03

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت

وإليه أُنيب ﴾

سورة هود الآية ﴿ 88﴾

شكر وتقدير

أشكر أولا الله العلي القدير الذي أمدني بالعون والصبر والتوفيق

على إتمام هذا البحث شكراً يليق بمقامه وجلال وجهه

وعظيم سلطانه

كما أتقدم بخالص الشكر والثناء، وجميل العرفان إلى الأستاذ الدكتور:

محمد مرتاض الذي قبل الإشراف على هذه المذكرة

وأشكره على جليل ما قدمه لي من نصائح قيمة وسديدة نفعتني في إنجاز

هذه المذكرة

كما لا يفوتني تقديم آيات الشكر الجزيل إلى الأستاذ المناقش:

الذي تحمّل عبء قراءة هذه المذكرة وإلى كل الأساتذة الكرام.

إهـــــــداء

إلى اللذين عجز القلم عن تبيان فضلهما، ولو كان هذا القلم في يد الدهر

إلى الأم الحنون التي أمدتني من نور قلبها حبّا وحناناً

وإلى والدي العزيز الذي تحمّل أهوال الغربة من أجل تعليمي وتربيتي.

إلى روح زوجي الطاهرة في دار الخالدين

وإليكم يا قرّة عيني: سارة ~ ماجد ~ أحمد

نجاحي وانتصاراتي

كما لا أنسى مسؤولي وعمال مكتبة دار الحديث الذين قدّموا كلّ

المساعدات والتشجيعات.

وإلى كل العائلة الكريمة.

مقدمة

مقدمـــــــة:

يعد ظهور المذهب الإصلاحي بداية للنهضة الإسلامية الحديثة، ومرحلة فاصلة بين عصور الجمود، والتقليد، والانحطاط من وجهة، ومحنة الاستعمار الغربي ونتائج الاحتلال من وجهة أخرى.

فقد عرف القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين في الوطن العربي، حركة إصلاحية هامّة شملت مختلف المجالات الفكرية، والدينية، والاجتماعية، والسياسية، بقيادة جماعة من المصلحين من أمثال: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي،...وغيرهم، حيث سعَوا جاهدين من أجل النهوض بالأمة التي باتت تتخبَّط تحت نير الاستعمار.

وفي ظل هذه التطورات، كانت الجزائر تعيش حالة من التغيرات في الأوضاع الاجتماعية، والثقافية بفضل أئمة الإصلاح، ورُواد الصّحوة والنّهضة، وأصحاب نظرية التجديد والتغيير، ويُعدُّ الشيخ عبد الحميد بن باديس أحد هؤلاء الأعلام الأفذاذ الذين أنجبتهم الأمة الجزائرية، وأحد المجاهدين المغاور الذين ناضلوا في سبيلها بصدق، وجاهدوا في استماتة ليُخلِّصوها من قيود شائكة ومتشابكة، ومن أخبث قوة استعمارية.

فالمتصفّح لتاريخ الجزائر الحديث، يدرك مدى شموخ هذا الرجل وعظمته وعبقريته الفذّة، ومواهبه الفريدة التي أهلته لأن يكون عَلما بارزاً من أعلام التجديد الإسلامي الحديث في الجزائر، ورمزا من رموز الإصلاح.

فقد ظهر الشيخ عبد الحميد بن باديس على السّاحة الجزائرية في مرحلة تاريخية صعبة، عمد فيها الاستعمار الفرنسي إلى تغريب المجتمع الجزائري ثقافيا دينيا، واجتماعيا، وسياسيا، وساندته الطرقية المنحرفة لتضليل الشعب واستغلاله.

فدخل الشيخ معركة البناء الحضاري بعزيمة لا تعرف الكلل، وإيمان لا يشوبه الشك، فأشرف على مسيرة التغيير من موقع العالم القائد المسؤول، حيث تولّى رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت البذرة الأولى لثمار الإصلاح في الجزائر.

مقدمـــــــة:

إن الإصلاح عند عبد الحميد بن باديس معادل للبعث الحضاري الشامل، فهو حركة إيجابية مقاومة للفساد عامة، سواء فساد المبادئ والقيم، أم فساد السلوك والممارسات.

ومنهج المصلح يقوم على ثوابت وقواعد علمية وأخلاقية، لأنه فكر ورأي ووعي شامل وكامل للحياة، ونقدٌ لأوضاعها ومفاهيمها، وهو كذلك ممارسة وبناء جديد للفرد والمجتمع، فجاءت جوانب تفكيره خصبة ومتنوعة.

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع - زيادة على ما تقدَّم – ميلي الشديد إلى مثل هذه الموضوعات التي تُعنى بالجانب الإصلاحي، وكذلك تقديري لهؤلاء الأعلام الذين بتفكيرهم وإسهاماتهم، عرفت بلادنا طريق الحق، والعدل، وموقعها من قضية الانفتاح الحضاري والجزائر في أصعب وأدقّ مراحلها ضد الاحتلال الأجنبي.

أما الدّافع الموضوعي، فيتلخّص في محاولة إضافة بصمة ولو بسيطة إلى ما كتبه السّابقون عن جهود ابن باديس الإصلاحية، فقد طرق الإصلاح قبلي جزئيا أو إجماليا دارسون مفكرون، لهم مكانتهم وتفاوتت جهودهم، واختلفت آراؤهم في المذهب الإصلاحي عامة والحركة الباديسية خاصة، أمثال الأساتذة، تركي رابح، عمار بن مزوز، وحسن سلوادي، وعبد الكريم بو صفصاف، وغيرهم، واسترشدتُ بآرائهم في كثير من القضايا، واستطعتُ أن أوازن بين أهمّ الأحكام المطروحة حول الفكر الباديسي، بالإضافة إلى مقالات حفِلت بها بعض المجلاّت، كمجلة الوعي، والموافقات، والإرشاد،...

وبناء على جهود من تقدَّمني، درستُ نظرية التجديد في المذهب الإصلاحي من مصادر أصحابها، وركّزتُ على القضايا النّظرية والعملية، حتى أبيّن خصوصيات فكر ابن باديس ونشاطه الإصلاحي، في أبعاده الدينية، والاجتماعية، والتّحليلية، والسّياسية، وأبرز ما في هذا البحث علاقات التكامل والازدواج في منظومة التفكير عند ابن باديس، وعلاقة التقابل بين ثنائيات كثيرة، كالإصلاح والطرقية، والعقل والنقل، والعلم والأخلاق، والعقيدة والسياسة، والاجتهاد والتفكير، والاستعمار والتحرر، والعدل والظلم، والفرد والمجتمع،

والأمة والدولة، وما إلى ذلك من ثنائيات في محور منهجه التوفيقي بين الأصالة والمعاصرة.

وقد شغلتني في هذا البحث تساؤلات عديدة تتطلّب البحث والتّحليل، وأولها ماهي الآفاق الحضارية التي سعى إلى تحقيقها ابن باديس في منهجه الإصلاحي؟ وماهي القضايا والمحاور الكبرى التي ركّز عليها في إصلاحه؟، وهل كان الفكر الإصلاحي المغاربي مجرّد ترديد للفكر الإصلاحي في الشرق؟، وكيف استطاع ابن باديس أن يُزاوج بين الأصالة كقاعدة، وبين الحداثة والمعاصرة كهدف في منظومته التفكيرية؟.

هذه التّساؤلات وغيرها تُبيّن مدى تنوّع موضوعات، واتّساع آفاق، وتشعب قضايا الإصلاح في فكر ابن باديس، ففي ضوء ما تقدّم من آفاق الفكر الإصلاحي عند ابن باديس، بنيتُ خطة على مقدمة منهجية، ومدخل للتعريف بمصطلحات فكرية، وحصرتُ موضوعاته في ثلاثة فصول محورية، وخاتمة كانت حصيلة لأهم النتائج.

تناولت في الفصل الأول: التعريف بالشيخ ابن باديس وبيئته التعليمية، مركّزة على الجوانب المؤثرة في تكوين شخصيته، بدءاً من أساتذته وشيوخه، إلى أهم المواقف السياسية في حياته.

ودرستُ في الفصل الثاني: فكر العلامة ابن باديس، وأهم الجوانب المميزة لتفكيره، مبيّنة وموضّحة بداياته الإصلاحية في جانبيها التّنظيري، والعملي الخاص بتكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وخلصتُ في الفصل الثالث إلى بحث جهوده الإصلاحية، ووصف أبعادها الحضارية، ومدى حرصه على اعتماد مرجعية القرآن والسنة في النظام الاجتماعي، والنظام التعليمي، والنظام السياسي الإصلاحي.

أما المنهج المُتّبع في هذا البحث، والذي بدا لي أنه الأنسب في هذه الدراسة، هو المنهج الوصفي القائم على التّحليل في عرض المحاور، والقضايا الكبرى التي اهتم بها المصلح في نشاطه، مع تقديم شرح وتحليل لأهم الأسس التي بنى عليها منهجه في الإصلاح، مستعينة بالمنهج التاريخي في ذكر جوانب

وحقائق من حياته، وحيث أن جوانب تفكير ونشاط مصلحنا متنوعة، كنت أمام اختيارات متعدّدة، هل أدرسه بصفته مفسّراً للقرآن؟ أو فقيها مجتهدا في استنباط الأحكام؟ أو متكلّما فيلسوفا؟، أو معلّما حربياً؟ أو مصلحا دينياً؟ أو مرشدا أخلاقياً؟ أو اجتماعياً؟ أو سياسيا؟ أو وطنيا مناضلاً؟، فاخترت قدر المستطاع الاهتمام بهذه الجوانب مبرزة آفاق مشروعه النّهضوي الحضاري، القائم على جدلية الأصالة والمعاصرة.

كما عنيت بإظهار مدى تأثره بآراء أئمة التجديد في المشرق، واتفاقه معهم في الأصول المنهجية والتّوجه الإصلاحي، وأبرزت استقلاله في التفكير وحرية الاجتهاد في المستجدّات، ومميزات أسلوبه في إصلاح العقيدة، والتربية والتعليم، والتنشئة الاجتماعية، وبث الوعي الثقافي والسياسي، وأخلاق المدنية التي لا تجديد ولا نهضة إلاّ بدونها.

فتيحة معط الله

الخميس رجب 1434هـ /07جوان 2012

المدخل:

مفاهيم ومصطلحات فكرية.

1- مفهوم الفكر.

2- مفهوم الإصلاح.

3- مفهوم الحضارة.

إنّ رؤى التّغيير لوضع أي أمة إنما تنبعث من تحديد أسس تبني عليها برنامجها التّغييري والتجديدي ، والمحور الأساسي في هذه العملية التفاعلية هو الإنسان بكل أبعاده الروحية والمادية.

فحركة الإصلاح في العالم الإسلامي عامّة ، والجزائر خاصة ركّزت على بناء هذا الإنسان فكريا فيما يرجع إلى الشؤون في الحياة العاجلة والآجلة، ثمّ أعماله، التي هي جارية في الصّلاح على حسب تفكيره، ومنجزاته التي ضمن بها النهوض والرّقي.

فلتحقيق هذا النموذج الفعّال في هذه السيرورة الحياتية لابدّ من تحديد مفاهيم لها علاقة بالإنسان، فما هو الفكر؟ وماهي الحضارة؟.

1. مفهوم الفكر:

ممّا لا شك فيه أن كل حضارة ثمرة للفكر الإنساني الذي لا يمكن أن ينضب في تجدّده وإبداعه، وما الانحطاط الحضاري إلاّ نتيجة انحطاط ذلك الفكر، وله مفهومان لغوي، واصطلاحي:

أ ـ لغة:

"هو أعمال الخاطر في الشيء، يُقال رجل فكير أي كثير الفكر، أو كثير التفكير والتأمل"[1]، استعمال العقل لإدراك العلوم والمعارف، وقد اختلف العلماء في تحديد العقل ومكانه في الإنسان، لكنّ الصّواب وماله دلائله في القرآن والسنّة، هو أن العقل نور إلهي في القلب يهدي إلى التفكير والتأمل والتفريق بين الحق والباطل، كما وصف الله عزّ وجّل القلوب بالعقل في الآية الكريمة: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2] وبما أن العقل متفاوت بين الأشخاص، غريزةً واكتساباً، فإنه تعذّر على النّاس أن يتساووا في إدراك المعارف والعلوم،

---

[1] - ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد2، دار صادر للطباعة والنشر، ط1 –بيروت – لبنان – د.ت، ص:120.

[2] - سورة الحج، الآية:46.

وهذا ما نستنتجه من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، أي إنما يعلم الفرق بين هذا وذاك من له لبٌّ وهو العقل[2].

ب- اصطلاحا:

أما معناه الاصطلاحي، فنستخلصه من خلال ما جاء به ابن خلدون في مقدّمته، فهو يقول: "أن الفكر تميّز به البشر عن الحيوانات، واهتدى به لتحصيل معاشه، والتعاون عليه مع أبناء جنسه، والنّظر في معبوده، وما جاء به الرّسول من عنده، فصارت جميع الحيوانات في طاعته وملك قدرته، وفضّله على كثير من خلقه"[3]، ذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانية الحسّ، والحركة، والغذاء، وإنّما تميّز عنها بالفكر الذي يهتدي به...فهو مفكّر لا يفتُر عن الفكر طرفة عين، بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصنائع...يكون المفكّر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من إدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم، أو زادَ عليه بمعرفة أو إدراك، أو أخذه ممّن تقدّمه من الأنبياء الذين يبلّغونه لمن تلقّاه، فيتقن ذلك عنهم، ويحرص على أخذه وعلمه"[4].

فابن خلدون جعل للعقل ميداناً، وللشّرع ميدانا آخر، فلا يمكن للعقل أن يستقلّ بمطلق المعرفة أو يصل إلى طريق الهداية دون أن يهتدي بنور الشّرع، بل هو عاجز أن يتمكّن من الحقيقة، إذا لم يستعن بوحي الله الذي هدى، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5].

---

[1] - سورة الزمر، الآية: 9.

[2] - ابن كثير، "تفسير القرآن الكريم"، دار الكتب العلمية، م4 – بيروت – 2006، ص: 44.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون، "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ج1، دار الحزم للطباعة والنشر – بيروت – ط1، 2003، ص: 329، ويُنظر "المقدمة"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – 2007، ص: 437.

[4] - المصدر نفسه، ص: 437.

[5] - سورة النحل، الآية: 78.

لقد فصل ابن خلدون بين تفكيرين أو بين علمين، هما: "العلوم العقلية؛ وأداة تحصيلها هي الحواس والعقل، أمّا العلوم النقلية؛ فسبيلها إلينا هو الوحي"[1]، وهناك عرف الفكر الحكمة وتتمثل هذه الحكمة مثلا في رأي 'سلمان الفارسي'**، الذي أشار على رسول الله –صلّى الله عليه و سلّم- بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، وبذلك سلِم المسلمون، ويقول الله تعالى:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]

و ينقسم الفكر إلى ثلاثة مراتب، وهي:

1- الفكر العملي: و هو الذي يستعمله الإنسان للحصول على حاجته اليومية، وهنا يقول ابن خلدون: "ومنها السّعي في المعاش، والاعتماد في تحصيله، واكتساب أسبابه، فهداه الله إلى التماسه وطلبه."[3] وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[4]

2- الفكر الاجتماعي: وهو الذي يتلقاه الإنسان في المجتمع، وينظم علاقات الفرد بالمجتمع على شكل قوانين أخلاقية وسلوكية.

3- الفكر النظري: هو الذي يستعمله الفرد في الحصول على العلوم، ويميز الإنسان عن الحيوان[5].

إذن نستنتج أن الفكر صفة سامية ميّز الله بها بني البشر عن سائر الكائنات الحية، وأكرمه به، وسخر له ما في الكون وهيّأ له أسباب الحياة.

---

[1] - الصغير بن عمار، "الفكر العلمي عند ابن خلدون"، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر- ط3، 1984، ص:15، 16.

**سلمان الفارسي: صحابي جليل من ماجوس أصبهان، أسلم على يد الرسول –صلى الله عليه وسلم- وجُعل أميرا على "المدائن"، فأقام بها إلى أن توفي سنة 36هـ/656م.

[2] - سورة البقرة، الآية: 269.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون، "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، ص: 33، "المقدمة"، ص:55.

[4] - سورة طه، الآية:50.

[5] - عبد الله شريط ، "الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر- ط2، 1981، ص:65،67.

2- مفهوم الإصلاح:

تُعدّ كلمة الإصلاح من أهم ما حوته الحضارة العربية الاسلامية على مدى تاريخها الطويل، وتزخر المعاجم والقواميس بمفاهيم كثيرة لعبارة الإصلاح.

ا- لغة:

كلمة إصلاح مشتقة من الفعل؛ أصلح، صلَح، صلّح، وتدل على تغيير حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء، ويُقال أيضاً: "هذا يصلح لك أي يوافقك ويحسن بك"[1].

وجاء في لسان العرب:" الإصلاح نقيض الإفساد، و أصلح الشيء بعد إفساده؛ أقامه"[2]، "وأصلح في عمله أو أمره: أتى بما هو صالحٌ نافع، أي أزال الإفساد"[3].

والإصلاح عموما هو عكس الفساد، وتغيير الفساد إلى الإصلاح يحتاج إلى عمل منظم ومنهج مدروس، و قد ساهم في نشر فكرة الإصلاح بين الجماعة الاسلامية ' القرآن الكريم'، و من بين الآيات في هذا السياق الآية التي اتخذها المصلحون شعارا لحركاتهم، قال تعالى:﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[4]

والمعنى المقصود، يدل على إرادة الإصلاح العام فيما أمر به الله سبحانه وتعالى، وفيما نهى عنه ما دمت أستطيعه لأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر...و بهذا يجب مراعاة حقوق ثلاثة، أهمها: حق الله تعالى، وثانيها حق النّفس، وثالثهما، حق النّاس...وما توفيقي إلاّ بالله، أي الفوز في إصابة الإصلاح و كل عمل صالح وسعي حسن، فإن حصوله يتوقف على التوفيق من الله وحده...[5].

---

[1] - لويس معلوف، "المنجد في اللغة والآداب"، المطبعة الكاثوليكية –بيروت- ط1، 1927، ص:445.
[2] - ابن منظور، "لسان العرب"، ص:295.
[3] - "المعجم الوسيط"، مجمع اللغة العربية، ج1، ص:520.
[4] - سورة هود، الآية:88.
[5] - محمد رشيد رضا، "تفسير المنار"، دار المنار –القاهرة- ط4، 1954، ص:145.

ب - اصطلاحا:

ونقف على مفهوم الإصلاح حسب ما نظرت إليه الحركة الإصلاحية عموما،" إن الإصلاح حركة ايجابية مضادة ومقاومة للفساد عامة سواء في ذلك فساد المبادئ والقيم أم فساد السلوك والممارسات"[1].

إن الإصلاح يبدأ بفكرة تنشأ من تصور لواقع ما، وسط ظروف زمانية ومكانية خاصة، تولد في الإنسان الرغبة في التغيير، ثم لا تلبث هذه الرغبة أن تتحول إلى إرادة قادرة على ايجاد الآليات الكفيلة بإنجاز التغيير[2].

وكلمة الإصلاح ترتبط أساساً بالموضوع المراد إصلاحه، ولذلك نقول: الإصلاح الاجتماعي، السياسي، الديني والثقافي...

فالإصلاح في مضمونه تغيير الوضع من حالة مرضية إلى حالة صحية، فكل مصلح ينظر إلى إصلاحه من زاويته، وحسب مفهومه، فكان من ذلك مصلحون مختلفون دعوا إلى الإصلاح في أقطارهم على حسب بيئتهم، وثقافتهم وعقليتهم، نذكر منهم:" السيد جمال الدين الأفغاني، الشيخ محمد عبده، الكواكبي، ابن باديس، ومالك بن نبي وغيرهم"[3].

أما مفهوم الإصلاح عند ابن باديس فهو أكثر شمولية، لذا نراه يربط الفكر والعقيدة بالواقع و المجتمع[4].

ونستنتج أن الإصلاح، أن يقرر ما هو فكر ورأي ووعي كامل وشامل للحياة، فهو كذلك نقد للحياة وأوضاعها ومفاهيمها، ثم هو ممارسة وبناء جديد للحياة يعود بالخير العميم.

---

[1] - "مجلة الإرشاد"، السنة الأولى، العدد الرابع، رمضان/شوال 1410هـ ، أبريل/ماي 1990م، ص:28.

[2] - عمار بم مزوز، عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع –تيزي وزو- 2010، ص:68.

[3] - طهاري محمد، "مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده"، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر- ط2، 1992، ص:14.

[4] - عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، ص:69.

3- مفهوم الحضارة:

إن مفهوم الحضارة شامل و متشعب التعريفات.

أ ـ لـغة:

أُشتقت من الحَضَر أي الإقامة في المدن[1]، أو الاستقرار في المدن والقرى بخلاف البدو[2].

وفي لسان العرب، "الحضر والحاضرة"، هي خلاف البادية، وهي المدن والقرى، سُميت بذلك لأن أهلها حضـروا الأمصار ومساكن الديار، التي كان لهم بها قرار[3]، وبهذا المعنى ورد اللفظ في القرآن الكريم، فأصل الحضارة إذا هو الاستقرار، والمشتق من" قرّ، يقرّ، قرارا"، لقوله سبحانه وتعالى:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾[4]، أي مستقرا[5].

واستُعْمِل لفظ الحضارة بمعنى التطور، والتقدم في كل الميادين، فالحضارة ليست منجزات مادية أو كثرة علمية أو كتلا بشرية مكدّسة في المدن دون ترابط داخلي، "وإنما هي روح سامٍ من الفضائل والخصال الطيبة، التي تُزيّن وتُقوّم سلوكيات أبناء الأمة، وسائر نشاطاتهم، كما تتجسد في النظم السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، حتى تشمل جميع جوانب الحياة"[6].

ب - اصطلاحا:

لفظ الحضارة مشتق من الكلمة اللاتينية CIVIS بمعنى المدينة، أو CIVILIS بمعنى مدني، أو متعلق بالمدنية"[7].ومعانيها الاصطلاحية فهي عديدة، و سنُورد بعض آراء المفكرين في تصوراتهم لمفهوم الحضارة.

---

[1] - سليمان الخطيب، "أسس مفهوم الحضارة في الإسلام"، ديوان المطبوعات الجامعية ـالجزائر- ص: 25.
[2] - محمد هيشور، "سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها"، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991، ص:61.
[3] - ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد4، ط1، ص:148، 149.
[4] - سورة غافر، الآية:64.
[5] - أبو القاسم الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، دار المعرفة ـ بيروت- د.ت، ص:64.
[6] - زريق قسطنطين، "معركة الحضارة"، دار العلم للملايين ـبيروت- 1964، ص:40.
[7] - محمد عبد الكريم الجزائري، "الثقافة ومآسي رجالها"، شركة الشهاب ـالجزائر- د.ت، ص:67.

"نظر ابن خلدون إلى الناس في زمانه، فوجدهم مستقطبين في فئتين هما: " أهل البدو والحضر"، ورأى صفات إحداهما للأخرى، فتساءل عن سرّ هذا الاختلاف، وراح يستنبط قوانين التطور والتحول في الأمم والدول"[1].ويرى "أن الحضارة غاية البداوة"[2]، "فطور الدولة من أولها بداوة ثم إذا حصّل المال تبعه الرفه، واتساع الأحوال والحضارة، والحضارة إنما تنمو في الترف"[3]. وتعني الحضارة عند ابن خلدون : " والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ، والملابس والمباني، والفرش، وسائر عوائد المنزل وأحواله"[4].

ومن آراء ابن خلدون في الحضارة نستخلص أن الأمم تمر بثلاث مراحل: "مرحلة البداوة، مرحلة تأسيس دولة (الملك) ثم المرحلة الثالثة وهي مرحلة الترف والسقوط".

ويستند مالك بن نبي في دراسته لحضارة الأمم، على دراسة حركة التاريخ التي تؤثر في ثلاثة عوامل : "تأثير الأشخاص، وتأثير عامل الأفكار وتأثير عامل الأشياء"[5]، في شكل متكامل ومترابط يجعل الإنسان محور التأثير والتأثر.

وهذا "فإن حركة تطور الأمم والشعوب مرهونة بالتغيرات النفسية للأشخاص، والاجتماعية للظروف المحيطة، وبما أن قواعد حركة التاريخ ثابتة لا تغيرها عوامل البيئة ولا الزمان، فإن انبعاث أي حضارة وتجديدها لا يتم إلا في الظروف نفسها التي نشأت فيها أول مرة"[6].

فالحضارة عند مالك بن نبي تقوم على المعادلة التالية: انسان +تراب+ وقت= حضارة، ويرى أن هذه الأخيرة تمر بثلاثة مراحل: مرحلة الروح أو نقطة

---

[1] - علي الوردي، "منطق ابن خلدون في حضارته وشخصيته"، مطبعة جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية –القاهرة- 1992، ص:77.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة"، ص:275.

[3] - الصغير بن عمار، "الفكر العلمي عند ابن خلدون"، ص:48.

[4] - "المقدمة"، ص:183.

[5] - آمنة تشيكو، "مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي"، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر- 1989، ص:116.

[6] - مالك بن نبي، "ميلاد مجتمع"، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر –سوريا- 1962، ص:70.

البداية، ومرحلة القوة وهي مرحلة تُغلب المصالح الفردية على المصالح الجماعية، ثم مرحلة التفكك النفسي، وبالتالي السقوط والانهيار.

أما "أزفالد شبنجلر" ففسّر الحضارة تفسيراً بيولوجيا،" فإنها تمرُّ بنفس الأدوار التي يمر بها الانسان من طفولة وشباب ورشد، وشيخوخة؛ ففي دور الشباب تتوفر القوة والإبداع، ثم تظهر عليها علامات الشيخوخة فتسقط وتموت"[1]، "فيغدو حال الحضارة كحال غابة عملاقة جفَّت أغصانها، وإلْتوَت أعناقها، وهذا ما نشاهده في بقايا وأطلال تلك الحضارات العملاقة كحضارة الفرس، والروم، والهند"[2].

فنلاحظ أن "شبنجلر" قد تأثر في تفسيره للحضارة بنظرية ابن خلدون في تطور الدولة.

وعن نظرة "أرنولد توينبي" للحضارة، فإنه يرى أن العامل الأساسي في نشوء الحضارات، هو التحدي الخارجي والاستجابة الداخلية، وينكر التفسير البيولوجي للحضارات، كما ينكر تأثير عامل واحد في قيام الحضارة أو سقوطها، فيقول:" بأن هناك جماعات بشرية أقامت حضارات استجابةً لعامل الجفاف والفقر، وشعوب أخرى نعمت في الشواء ولم تعرف أي ازدهار حضاري"[3].أي أن قيام الحضارات يتمثل في تفاعل العوامل الخارجية، والطبيعية، والبشرية، والاحتياجات الداخلية للفرد والمجتمع.

وهنا يشترك "توينبي" مع مالك بن نبي في هذا التصور. ونستطيع بعد إدراج هذه الآراء في مفهوم الحضارة، أن نبين ونبرز مظاهر الحضارة وهي على الشكل التالي:

1. المظهر السياسي: و يتمثل في نظم الحكم و مؤسساته
2. المظهر الاقتصادي: يضم وسائل الإنتاج وتكوين الثروة وتبادل المنتوجات
3. المظهر الاجتماعي: يتكون من المجتمع و نُظُمه و العلاقات الأسرية.

---

[1] - نعمان عبد الرزاق السامرائي، "في التفسير الاسلامي للتاريخ"، دار الشهاب –باتنة-الجزائر- د.ت، ص:123.

[2] - أزفالد شبنجلر، "تدهور الحضارة الغربية"، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت- 1934، ج1، ص:218.

[3] - أرنولد توينبي، "مختصر دراسة التاريخ"، ترجمة محمد فؤاد شبيل، طبعة الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية – القاهرة- 1961، ج1،ص:105

4. المظهر الفكري: يتمثل في الفلسفة و العلوم والآداب.
5. المظهر الديني: و يشمل المعتقدات الدينية و العبادات.
6. المظهر الفني: و يعني الفن المعماري والنحت و الرسم والموسيقى.

الفصل الأول:

عصر العلامة عبد الحميد بن باديس وحياته.

1- نشأة ابن باديس وحياته:

- مولده ونسبه.

2- تعليـمه وأساتـذته:

- تعليمـه.
- أساتذته.

3- رحـلاته العلـمية:

- الرحلة الزيتونية.
- الرحلة الحجازية.
- عودة ابن باديس إلى الجزائر.

4- عوامل تكوين شخصية عبد الحميد بن باديس:

- العوامل المحلية.
- العوامل الخارجية.

5- وفـــــاته.

6- آثـــــاره.

إن الوهن الحضاري الذي أصاب الأمة الجزائرية، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان نتيجة طبيعية لمرحلة عسيرة ومظلمة عاشتها الجزائر، وهي تواجه واقعا مثقلا، يميزه القهر السياسي، والجمود الثقافي، والموَات الفكري، فرضه الاستعمار بشتّى وسائله القمعية، منها: المادية، والمعنوية، فكان لابد لهذا الظلام من أن ينجلي؛ وذلك بظهور شخصية ثورية، قوية، ومُصلحة، تحمل لواء التحدّي وترفع الشعب إلى اليقظة حتى تبدأ عملية الإقلاع الحضاري من جديد.

فتمثلت هذه الشخصية في حامل المشعل، والهادي إلى طريق الإصلاح "عبد الحميد بن باديس".

1- نشأة ابن باديس و حياته:

1-1 مولده و نسبه:

"ولد قطب النهضة العلمية، والفكرية، ورائد الحركة الإصلاحية، "الشيخ عبد الحميد بن باديس الصّنهاجي"**، يوم الرابع من شهر ديسمبر سنة تسع وثمانين وثمانمائة بعد الألف ميلادية، الموافق للحادي عشر من ربيع الثاني سنة سبع وثلاثمائة وألف بعد الهجرة 'بقسنطينة' عاصمة الشرق الجزائري، وكان عبد الحميد الولد البِكر لأبويه"[1].

و" والده هو السيد مصطفى بن مكّي بن باديس من حملة القرآن الكريم، ومن أعيان مدينة قسنطينة"[2]، تقلّد مناصب حكومية هامة، "فكان نائباً في عدّة مجالس منها: أنه كان نائباً وِلائياً، ونائباً في المجلس المالي للولاية العامة، والمجلس الجزائري، وقد اشتغل بالإضافة إلى ذلك بالفلاحة، والتجارة وأثرى فيهما، أما ثقافته فكانت ثقافة دينية...محافظا في مظهره و ملبسه، يحبّ العلم

** تنتسب أسرة ابن باديس إلى قبيلة صنهاجية، وهي أشهر وأقوى القبائل البربرية في الجزائر...و أصل صنهاجة من "حمير" وهو شعب قديم من بلد اليمن.

[1] - الزبير بن رحال، "الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية" 1940/1989، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع -عين ميلة-الجزائر- ، ص: 03.

[2] - تركي رابح، "عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية في الجزائر المعاصرة"، دار موفم للنشر والتوزيع، ط2، 2003، ص: 27.

والعلماء"[1]، وقد عُرف بدفاعه عن مطالب السكان والسعي في استرجاع حقوقهم المسلوبة.

أما أمّه فهي "السيدة زهيرة بنت علي بن جلول"[2]، تنحدر "من أسرة مشهورة في قسنطينة؛ هي أسرة عبد الجليل"[3]، المعروفة "بالعلم والصلاح، والمعرفة والثراء"[4].

عاش عبد الحميد في كنف أسرة تاريخية عريقة في القدم، لعبت دورا كبيرا في الحياة السياسية والعلمية في تاريخ المغرب العربي عموما، والجزائر خصوصاً، "فقد كان لها نفود ودواليب الحكم في المغرب الاسلامي والأندلس"[5].كما "سطع نجمها في ميدان الإمارة والمُلك بالمغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري"[6].

وسجّل التاريخ لهذه الأسرة أسماء شخصيات بارزة كان لها التأثير الفعّال على مجرى أحداث الجزائر، وكان عبد الحميد يحلو له الافتخار بهم، منهم:

- **زيري بن مناد الصّنهاجي**: "هو أول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط"[7]،

وامتاز زيري بن مناد، بحُن السيرة والشجاعة في مواقف عدّة.

- **بلكين بن زيري بن منّاد****: "المكنّى بأبي الفتوح والملقب "سيف العزيز بالله" وهو من قبيلة صنهاجة الأمازيغية البربرية"[8].

---

[1] - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، "إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 1998، ص:26.

[2] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة"، ص: 27.

[3] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، دار الغرب الاسلامي –لبنان- ط2 1983، ص:73.

[4] - الزبير بن رحال، "الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ص:03.

[5] - عبد الكريم أبو صفصاف، "حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس، وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية" (1940/1849)، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2007، ص:204.

[6] - مسعود فلوسي، "الإمام عبد الحميد بن باديس (لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده)، دار قرطبة للنشر والتوزيع –الجزائر- 2006، ص: 13.

[7] - الزبير بن رحال، "الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية"، ص:03.

** وقد تولى بلكين الإمارة على افريقيا والجزائر في الفترة الممتدة ما بين 362هـ/373هـ.

[8] - بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، دار طليطلة –الجزائر- ط1، 1432هـ/2010م، ص:83.

- **باديس الصنهاجي والد المعزّ**:" من ملوك الدولة الصنهاجية بالقيروان"[1].

ومن رجالات هذه الأسرة المشهورين أيضا في التاريخ:

- **المعزّ لدين الله ابن باديس****:"انفصل بولاية افريقيا عن الخلافة الفاطمية، وحارب الشيعة ونشر مذهب أهل السنة"[2]
- **أبو العباس حميدة**: هو "قاضي قسنطينة المشهور"[3]، اشتهر بغزارة العلم، وسعة الاطّلاع في الفقه.

ومن أعلام أسرة عبد الحميد في العصر الحديث في السياسة، عمّه:

- **حميدة بن باديس*****:"كان نائباً عماليا ممثلا لمدينة قسنطينة"[4]، شارك مع زملائه النُّواب في كتابة عريضة طويلة تضمنت حالة الشعب الجزائري المزرية، وأنواع الاضطهادات التي يعاني منها، "وقُدّمت العريضة إلى أحد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي الذي حضر إلى الجزائر من أجل تقصّي الأحوال، كي يقدمها بدوره إلى الحكومة الفرنسية في باريس وذلك بتاريخ 10 أبريل 1891م"[5].

ونضيف إلى هؤلاء جدّ عبد الحميد الذي كان قاضياً بقسنطينة، وعضوا في المجلس العام لبلدية قسنطينة"[6]، قاض بجوده وكرمه على أفراد الشعب، فتعزّزت مكانته في قلوبهم، فبفضل هذا الماضي الشريف، وهذه الجذور العريقة، وصلت العظمة إلى هذا الحفيد لتُهيّئهُ لأدوار المجد والسُّؤدد والنُبوغ في مجال الإصلاح.

---

[1] - الزبير بن رحال، "الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية"، ص:03.

** تولى الإمارة على افريقيا والجزائر، بعد وفاة والده باديس بن منصور في الفترة الممتدة بين عامي 406هـ/453هـ.

[2] - عمار بن مزوز، " عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، ص:12.

[3] - تركي رابح، عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية"، ص: 29.

*** توفي حميدة بن باديس سنة 969هـ/1561م، وقيل عنه خلف سلف صالحين، علماء حازوا قصب السبق في الدراية والمعرفة.

[4] - عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، ص:12.

[5] - عبد الحميد بن باديس، "الشهاب"، ج2، م13، عدد أبريل 1973م، ص:63.

[6] - عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"،ص:13.

2- تعليمه وأساتذته:

2-1 تعليمه:

تلقى عبد الحميد بن باديس تعليمه على الأسلوب التقليدي الشائع في بلاد المغرب العربي، حيث وجّهه والده إلى المدرسة القرآنية ليتعلم، كواحد من الطبقة الشعبية المتواضعة.

" فحفظ ابن باديس القرآن الكريم على يد الشيخ محمد المداسي، وأتم حفظه في السنة الثالثة عشرة من عمره، ومن شدة اعجاب المؤدب بذكائه وسيرته الطيبة، قدّمه ليصلي بالناس، صلاة التراويح، ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير"[1]، بمدينة قسنطينة.

وفي سنة ثلاث وتسع مائة بعد الألف، دخل الشاب في طور جديد من أطوار دراسته، حيث اختار طريق سلفه، و هو طريق العلم والجهاد، "فانتخب له أبوه أحد الشيوخ الصالحين من ذوي المعارف الاسلامية والعربية وهو الشيخ أحمد أبو حمدان لونيسي**[2].

"وقد ظلّ ابن باديس يتعلم منه إلى أن تركه شيخه، وسافر إلى المدينة المنورة، بعد أن غرس فيه أنّ طلب العلم لا يستقيم وطلب الوظيفة، فكانت هذه النصيحة هي زاده في حياته العملية"[3]. وكان ابن باديس يعترف له بالفضل في تنوير عقله وصقل معارفه الأولية وبلورة تفكيره.

وحين بلغ عبد الحميد "الخامسة عشر من عمره زوّجه والده، وأنجب ولدا أسماه: عبده اسماعيل***، توفي وعمره سبعة عشر عاما."[4]

---

[1] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، ص:74.

** كان منتميا إلى الطريقة التيجانية، وهي من الطرق الصوفية المتأخرة، وتُنسب إلى أحمد بن المختار التجاني، ت 1815م.

[2] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس: فلسفته وجهوده في التربية والتعليم"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر- ص:159.

[3] - أحمد محمود الجزار، "الإمام المجدد ابن باديس والتصوف"، سلسلة دراسات في الفكر الاسلامي المعاصر، ص:19، 20.

*** توفي في 15 رمضان عام 1337هـ الموافق لـ 14 جوان 1919م، ومدفون بجوار أبيه.

[4] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، ص:74.

و بعد هذا الموقف في حياته، أنهى عبد الحميد حياته الزوجية وتفرغ إلى حياة العلم و العمل شأنه شأن أسلافه، ويرجع الفضل كله إلى والده الذي قال فيه عبد الحميد: "والدي الذي ربّاني تربية صالحة، ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقاً أتبعه، ومشربا أرده وقاتني وأعشاني."[1] ، وهكذا طلّق هذا الرجل الدنيا الرخيصة، بما فيها من شرور وآثام، وأقبل على الدنيا الصالحة، دنيا العمل والجهاد، والتضحية والفداء، وبذل النفس في سبيل نفع المجموعة الجزائرية.

وفي عام ثمانٍ وتسعمائة بعد الألف ميلادية، كان عمر عبد الحميد تسعة عشر عاما، وفي نفس في السنة سافر إلى تونس ليستكمل تعليمه الثانوي والعالي في جامع "الزيتونة" المسمى: "الجامع الأعظم"، وفي رحابه تفتح عقل ابن باديس وذهنه على آفاق واسعة من الثقافة الاسلامية"[2]، ونبغ فيه وانكبَّ على أمهات الكتب والمصادر الهامة للدراسات الاسلامية التي لم يطّلع عليها حتى في مسقط رأسه قسنطينة، فعُرف في دراسته بالجد والنشاط، فأقبل على العلم بشغف كبير يعب منه عباً، وشغلته المطالعة حتى خارج أوقات الدراسة، ومكث في الجامع الأعظم مدة أربع سنين، بعد نهاية ثلاث سنوات منها؛ تحصل على شهادة التطويع"[3]، والسنة الرابعة قضها مدرسا وتحصل في نهايتها على شهادة "العالمية" وكان عمره آنذاك ثلاثة وعشرين عاما"[4].

2.2- أساتذته:

أخذ الشيخ عبد الحميد بن باديس علمه وفكره على يد نخبة جليلة من العلماء ورجال الفكر، ترك كل منهم أثره الطيب في شحذ فكره وصقل روحه وتهذيب خُلقه، ويمكن تقسيم أساتذة عبد الحميد إلى قسمين:

أ- الشيوخ الذين تلقى منهم العلم مباشرة ومشافهة، وهم:

أ-1 **الشيخ محمد المداسي**: وهو الذي حفظ على يديه القرآن الكريم بمدينة قسنطينة، وهو أول معلم لعبد الحميد بن باديس"[5]

---

[1] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج2، ص:138.
[2] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس: فلسفته وجهوده في التربية والتعليم"، ص: 159.
[3] - الفاضل بن عاشور، "الحركة الأدبية والفكرية في تونس" –القاهرة- ط1، 1955م، ص:45.
[4] - يُنظر ابن باديس: صلاح التعليم أساس الإصلاح، "الشهاب"، ج11، م10، عدد أكتوبر سنة 1934، ص: 478، 481.
[5] - رابح تركي، "الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة"، ص:31.

أ-2 **الشيخ حمدان لونيسي**: وهو من علماء الجزائر المشهورين، هاجر إلى الحجاز سنة ثمان وتسعمائة بعد الألف ميلادية"[1]، وهو الذي تلقى على يديه عبدالحميد علوم اللغة العربية والثقافة الاسلامية، بمدينة قسنطينة قبل أن يسافر إلى جامع الزيتونة.

ومن الذين تتلمذ على أيديهم بجامع الزيتونة كوكبة عظيمة نذكر منهم:

أ-3 **الأستاذ محمد النخلي القيرواني**:(1278ه-1342ه/1862م-1924م) "وُلد بالقيروان وتوفي بتونس، شاعر، وفقيه من أعلام ومدرسي الزيتونة، وكان متأثرا بمدرسة عبده والأفغاني"[2]، ومن وصاياه لعبد الحميد، قال: "اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط، ويبقى الصحيح، وتستريح، فو الله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة على ذهني آفاقاً واسعة لا عهد له بها"[3].

أ-4 **الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور**:(1287ه- 1393ه/1879م- 1973م)، "وُلد بتونس وهو من كبار علماء الزيتونة، وله مؤلفات هامة أشهرها في التفسير التحرير والتنوير"[4]، "وقد درس الشيخ عبد الحميد بن باديس على يديه الأدب العربي في ديوان الحماسة لأبي تمام"[5]، فأثر في تكوين ذوقه من الناحية الأدبية واللغوية، حيث يقول ابن باديس في ذلك: "و إن أنس فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت من أول ما قرأت عليه فقد حببتني في الأدب والتفقه في كلام العرب، وبثت فيَّ روحاً جديدا في فهم المنظوم و المنثور، وأحيت فيَّ الشعور بعزّ العروبة والاعتزاز بها كما أعتز بالإسلام"[6]

ويعتبر كل من الشيخ النخلي والشيخ ابن عاشور من رواد النهضة الفكرية والإصلاحية بتونس في العصر الحديث؛ اللذان كان لهما تأثير عميق في فكر ابن باديس، من الناحية الدينية والأدبية.

---

[1] - بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص:90.
[2] - المرجع نفسه، ص:92.
[3] - "الشهاب"، ج4، م14، ص:289.
[4] - بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص:92.
[5] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر"، وزارة المجاهدين، الذكرى45 لعيد الاستقلال والشباب، ط5، 1422هـ/2001م، ص:159.
[6] - عبد الحميد بن باديس، "البصائر"، العدد16، السنة الأولى –الجزائر- 24أبريل سنة 1936م، ص:04.

أ-5 الأستاذ بشير صفر: هو من المصلحين المجددين في تونس، "وقد أرجع إليه ابن باديس الفضل في معرفته بالتاريخ الاسلامي والقومي، مما كوّن منه جندياً من جنود الجزائر"[1]، يقول عنه ابن باديس: "وأنا شخصياً أصرح بأن كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم، الغزيرة العلم، هي التي كانت لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي، التي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جندياً من جنود الجزائر."[2]

وقد استفاد ابن باديس من منهج أستاذه الذي جعله جندياً من جنود الجزائر، وهي أن يُحيي الإنسان في سبيل القضية التي آمن بها، وقيادة الأمة إلى برّ الأمان.

ب- الشيوخ الذين تتلمذ عليهم عن طريق آثارهم وكتاباتهم:

ومن أساتذة عبد الحميد بن باديس الذين لم يتلق عليهم العلم بطريقة مباشرة، وإنما اتفاد منهم عن طريق كتاباتهم دون الجلوس إليهم:

ب-1 الشيخ طاهر الجزائري**: وكان ابن باديس يدعوه "شيخي"، ومما قال فيه: "هو الذي ربَّى عقلي، وهو الذي حبَّبَ إليَّ هذا الاتجاه الفكري منذ أن كنت طفلا إلى أن صرت رجلاً، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ في ديار الشام، إلاّ وقد كانت له صلة بهذا المربي الأعظم،...وبالإجمال هو جرثومة الخير الأولى "[3]، وتعتبر كتابات الشيخ الطاهر بصمة خالدة في فكر بن باديس وجهت تفكيره، ورسمت المنهج الصحيح وحددت الأهداف والغايات.

ب-2 الشيخ محمد عبده: تأثر عبد الحميد "بأفكار وآراء محمد عبده الإصلاحية عن طريق مجلة "المنار"[4]، التي كان الشيخ يقتبس منها مقالات وينشرها في "الشهاب"[5]

---

[1] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية والعربية في الجزائر"، ص:35.

[2] - عبد الحميد بن باديس: من كلمة ألقاها في تونس احياء لذكرى "البشير صفر"، "الشهاب"، ج5، م13، عدد جمادى الأولى1356هـ/جويلية 1937م، ص:254.

** هو طاهر بن صالح بن أحمد موهوب السمعوني الجزائري، هاجر والده الشيخ صالح من الجزائر إلى دمشق في سنة 1263هـ ، وتولى قضاء المالكية بها وفيها وُلد له طاهر.

[3] - عبد الحميد بن باديس، "شيخي"، "الشهاب"، ج5، م13، عدد جمادى الأولى 1356هـ/جويلية 1937م، ص:249.

[4] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر"، ص:162.

[5] - بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص:96.

ب-3 الشيخ رشيد رضا: كانت لابن باديس مراسلات وكتابات مع صاحب مجلة "المنار" الشيخ رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده، الذي كان يتبادل معه الرأي والمشورة، وقد قال فيه: "لقد كان الأستاذ شيخ وحدة في هذا العصر، فقيها في الدين وعالما بأسرار التشريع، ومحيطا بعلوم الكتاب والسنة وذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزّمان وسير العمران والاجتماع"[1].

وهكذا استلهَمَ ابن باديس تفكيره من فكر هذا العالم الذي جمع بين قمة الشرع وفقه الواقع، وكل ذلك من أجل هدف واحد هو إصلاح واقع هذه الأمة، وتجديد حضارتها في كل أبعادها الروحية والأخلاقية.

ب-4 الإمام أبوبكر بن العربي:(486ه/546ه) صاحب كتاب "العواصم من القواصم"، طبعه ابن باديس في جزأين، وقدم له بمقدمة هامة"[2] ويظهر تأثير الإمام أبي بكر بن العربي "في الشيخ عبد الحميد بن باديس في العقائد الاسلامية...والذي نهج فيه نهج القرآن الكريم في الاستدلال، ذلك المنهج."[3] ، الذي يتلاءم مع الفطرة الإنسانية فتستجيب له وتطمئن إليه وتميل نحوه وتركن"[4].

ب-5 الشيخ محمد بخيت المطيعي**: هو العالم الأزهري المشهور والحامل للفكرة الإصلاحية في الأزهر، اتصل به الشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء رجوعه من الحج سنة1913م، وكتب له إجازة في دفتر إجازاته"[5].

لقد اتَّسعت ثقافة عبد الحميد بن باديس، فاستوعبت كل ما حواه التراث الاسلامي في عهوده الزاهرة من جوانب التفكير الإنساني وضروب المعرفة، وعلوم النقل والعقل وهي الثقافة التي قال عنها بعض أقطاب الاستشراق: " إنها

ثقافة انسانية شـاملة حَوَت من علوم القدماء وتراث الإسلام، ما يجعل من يحيط بأطرافها ومناحيها معدوداً من علماء العصر ومفكريه"[1].

---

[1] - "الشهاب"، ج6، م11، جمادى الثانية 1354هـ/سبتمبر 1935م، ص:442.
[2] - بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص:97.
[3] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية والعربية في الجزائر المعاصرة"، ص:88.
[4] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، ص، 87.
** وُلد المطيعي بمحافظة أسيوط، درس الفقه على المذهب الحنفي، والفلسفة على جمال الدين الأفغاني، تولى عدة مناصب منها: مفتي الديار المصرية، سنة 1914م وتوفي سنة 1935م.
[5] - تركي رابح، "عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية والعربية"، ص:39.

3 - رحلاته العلمية:

ومن الأسباب المؤثرة في فكر العلامة عبد الحميد بن باديس وفي مشواره العلمي، الرحلات العلمية التي قام بها في حياته وتتلخص في:

3-1 الرحلة الزيتونية:

"جاء دور الرحلة في حياة الشاب عبد الحميد، فسافر إلى مدينة تونس في سنة1908م، وسِنّه إذ ذاك تسعة عشر عاما"[2]، وانتسب إلى جامع الزيتونة دارسا ومدرسا، "وبعد ثلاث سنوات من الجدّ والاجتهاد تحصّل على شهادة التطويع عام1911م، وقد نجح في امتحان التخرج نجاحا باهراً، إذ حصل على الرتبة الأولى وكان الطالب الجزائري الوحيد الذي تخرج في دفعة تلك السنة من الجامع المعمور"[3]، وخلال المدة التي قضاها في تونس تعرَّف على كبار العلماء، وأخذ عنهم الثقافة العربية الاسلامية، وأساليب البحث في التاريخ والحياة الاجتماعية، وتفتحت مواهب ابن باديس في ظل الحركة الإصلاحية التونسية، فاستوعبها "واختزن التجارب الإصلاحية التونسية لتكون احدى مرجعياته في عمله الإصلاحي في الجزائر، وبالأخص الجريدة الإصلاحية التي كانت تطرح قضايا الوعي للتعبير عن الواقع الذي صنعه الاستعمار"[4]، ويقول عبد الحميد متأثرا بفكر الزعيم عبد العزيز الثعالبي صاحب الجريدة الإصلاحية. "أعطى الثعالبي تونس حقها، ووضع كل أسس نهضتها ثم فارقها في رحلته الأخيرة ليعطي حق الشرق والعروبة والإسلام، فكان نظام العقد وعنوان الوحدة وروح الاتصال والعلم الافريقي الحقاق.."[5]

وكان لهذه الرحلة في جانبيها العلمي والسياسي، أثرا بارزا في تكوين هذه الشخصية المصلحة والمجددة في أوساط العالم الاسلامي عامّة و الأمّة الجزائرية خاصة.

---

[1] - باعزيز بن عمر، "من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين، عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الابراهيمي"، منشورات الحبر، ط2، 2007، ص: 33.

[2] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، ص:75.

[3] - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، "إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس"، ص:28.

[4] - يُنظر بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص:100.

[5] - عبد الحميد بن باديس، "مجلة الشهاب"، ج7، م13، رجب 1356هـ/سبتمبر 1937م، ص:316.

3-2 الرحلة الحجازية:

توجّه الشيخ عبد الحميد بن باديس "إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في عام1913م، مكث في المدينة المنورة ثلاثة أشهر، ألقى خلالها دروسا بالمسجد النبوي"[1]، "فالتقى بالشيخ حسين الهندي**"[2] الذي نصحه بالرجوع إلى موطنه لحاجة أهل بلده إلى علمه وفكره؛ كما التقى فيها بشيخه السابق حمدان لونيسي الذي هاجر سنة 1908م من الجزائر بقصد الإقامة الدائمة بالمدينة المنورة، فراراً من المضايقات الاستعمارية له في الجزائر"[3].

بالإضافة إلى هذين العالمين والمفكرين، تعرّف هناك على رفيق دربه الشيخ البشير الإبراهيمي، فكانا يقضيان جُلّ وقتهما في البحث عن الخطوط العامة للنهضة الإصلاحية في الجزائر. يقول البشير الإبراهيمي في ذلك: " كان من تدابير الأقدار الإلهية للجزائر ومن مخبآت الغيوب لها، أن يردّ بعد استقراري بالمدينة المنورة سنة وسبعة أشهر، أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس...باني النهضات العلمية و الأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر..."[4].

وتعدّ هذه المرحلة التي قضاها ابن باديس في الحجاز، رحلة تطلّع وثقافة وبحث علمي، و"إثر عودته من الحجاز فتح صفوفا للتعليم الحرّ، وأمَّ مسجدا ظلّ بؤرة إشعاع للوعي الاسلامي، ومصدر استنارة الأفكار، ومحركّاً للشعور الوطني والعربي"[5]، واجتمع المصلحان على هدف واحد هو النهوض الحضاري بالمجتمع الجزائري، وإن اختلفت لديهما الوسائل.

3-3 عودة ابن باديس إلى الجزائر:

"وفي أثناء عودة عبد الحميد بن باديس من الحجاز، طاف بعدّة أقطار عربية، فزار سوريا ولبنان ومصر، واجتمع برجال الفكر والعلم والأدب فيها"[6]،

---

[1] - يُنظر الزبير بن رحال، "الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية"، ص:13.

** كان الهندي عالما وحكيما.

[2] - بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص:103.

[3] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر"، ص:164.

[4] - البشير الإبراهيمي، "مجلة مجمع اللغة العربية" العدد 21، سنة 1964م، ص:140، 141.

[5] - محمد عباس، "البشير الإبراهيمي أديبا"، دار الفجر، ديوان المطبوعات الجامعية –وهران- ص: 40.

[6] - يُنظر "جريدة البصائر"، العدد 226، 17 أبريل سنة 1953.

"كما زار الأزهر الشريف"[1]، و وقف على أساليب التعليم و الدراسة فيه، واتصل ببعض العلماء والمفكرين و تذاكر معهم شؤون الإسلام والمسلمين.

4- عوامل تكوين شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس:

تميّزت شخصية الشيخ ابن باديس بالعظمة و المثالية، وهي شخصية أفرزتها عوامل محلية وخارجية بيّنها ابن باديس في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة ختمه للقرآن الكريم، في "شهر جوان سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة بعد الألف ميلادي"[2].

4-1 العوامل المحلية:

لقد أثرت العوامل المحلية في صياغة وبلورة معالم هذه الشخصية الفذّة، ومنها:

أ- توجيه والده له: وتمثّل في تكوينه من الناحية العملية و العلمية، فقد وجهه وجهة أخلاقية وعلمية وحماه من المكاره صغيرا وكبيرا، فأبوه كان من ذوي الفضل والخُلق الاسلامي، ومن حملة القرآن الكريم"[3].

فابن باديس يُرجع الفضل الأول لوالده الذي ربَّاه تربية صالحة، ووجهه وجهة صالحة، ورضي له العلم طريقة يتّبعها ومشربا يرده.

ب- البيئة: ونقصد بها البيئة الخاصة التي وُلد و ترعرع فوق أرضها ألا وهي مدينة قسنطينة الزاخرة بنشاطها الثقافي، المضطربة بأحوال أهلها الذين أنهكهم الفقر وأذلّهم البَأس. ترعرع وسط مجتمع فقَدَ الحرية ذات يوم، وسُلبت معالمه الحضارية...فكانت كل تلك المعاني حاضرة في ذهن ابن باديس، فشكلت وعيه وأيقظت شعوره وجعلت منه صاحب قضية، يَهَبُ كل حياته في سبيل الدفاع عنها.

---

[1] - عبد الحميد بن باديس، "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، جمع وترتيب محمد شاهين، منشورات المعارف الرغاية-الجزائر- د،ط، 1988م، ص:06.

[2] - يُنظر "الشهاب"، ج4،5، م14، جوان/جويلية 1938م، ص: 288، 291.

[3] - يُنظر عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، ص:77.

إنّ ابن باديس "لم ينشأ في دوّار بعيد عن اهتمامات المدن، ومن ثم ليس من المبالغة في شيء القول بأنه استشعر كل هذه المشاكل والقضايا منذ صغره، وأنه أحس بها حتى قبل أن يفهمها، وأنها اختمرت بحسه ودمه وعاطفته قبل أن تنضج في عقله وتتبلور في وعيه"[1].

فهذه المدينة بأحداثها المتنوعة و بانتمائها الحضاري الأصيل، تركت بصمات واضحة في تشكيل شخصية عبد الحميد بن باديس.

ج- المشايخ الذين تتلمذ عليهم: وهم عماد البيئة العلمية الذين كان لهم الفضل في صقل مواهبه وتوسيع مداركه المعرفية، "ويحرص ابن باديس دائما على تسميتهم ب"مشايخي" لما في هذه الكلمة من دلالة تتعدى حدودا للعطاء العلمي والمعرفي، إلى آفاق التقدير والتبجيل في أسمى معانيه"[2].

فيقول مُقرّاً بفضلهم عليه: "ثم لمشايخي الذين علّموني العلم وخطّوا لي مناهج العمل في الحياة، ولم يبخسوا استعدادي حقه"[3].

ومن المشايخ الذين تعلق بهم وتعهدوه بالتوجيه والتدريس، يقول ابن باديس: "وأذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البليغ في تربيتي وفي حياتي العملية...حمدان لونيسي القسنطيني نزيل المدينة المنورة ودفينها، وثانيهما الشيخ محمد النخلي المدرس بجامع الزيتونة المعمور رحمهما الله"[4].

بالإضافة إلى كوكبة أخرى من المشايخ العظام الذين تعهدوه بالرعاية والتوجيه والتربية و التهذيب.

د- تجاوب الأمة الجزائرية معه: اعتبر ابن باديس أن هذا العامل من أهم العوامل المؤثرة في شخصيته، وهو تجاوب الجماهير وتفاعلهم معه ومع دعوته الجادّة، فقد وجد في الأمة الجزائرية الأذان الصاغية والعقول المنفتحة، والقلوب المفعمة

---

[1] - محمد الميلي، "ابن باديس وعروبة الجزائر"، ص43.
[2] - عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، ص:51.
[3] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج2، ص: 138.
[4] - المصدر نفسه، ص:138.

بحب الدين والوطن، فنجده يصف الأمة الجزائرية فيقول: "بأنها ذات نسب عريق في المحامد والفضائل"[1]

فالشعب الجزائري يمتاز بخصال الكرم والشهامة والاستعداد الكامل من أجل التضحية، وقد أدرك الشهيد البطل "العربي بن مهيدي" نفسية هذه الأمة حين قال: "اقذفوا بالثورة إلى الشعب وهو سيكملها ويمضي بها إلى النهاية"[2].

فالتفاف الشعب حول ابن باديس وتفاعلهم مع دعوته كان له الأثر الكبير في امداده بالروح المعنوية الدافعة على الاستمرار والتحدي.

هـ - مؤازرة رفقاء العلم والكفاح له: كما كان لأساتذته دور في تعليمه وتنويره وتوجيهه وصقل معارفه دينيا وفكريا، وكان لزملائه ورفقائه أثر في شدّ أزره ونصرة أمره، ولم ينكر ابن باديس دور هؤلاء العلماء حيث قال: "إخواني العلماء الذين آزروني في العمل في فجر النهضة إلى الآن، فمن حظ الجزائر السعيد ومن مفاخرها التي تتيه بها على الأقطار أنه لم يجتمع في بلد من بلدان الإسلام (اليوم) فيما رأينا وقرأنا مجموعة من العلـماء، وافرة الحظ من العلم، مؤتلفة القصد والاتجاه، مخلصة النية، متينة العزائم، متحابة في الحقّ، مجتمعة القلوب على الإسلام والعربـية، قد ألف بينها العلم والعمل مثلما أُجتمع للجزائر في علمائها فهؤلاء هم الذين وُري بهم زِنادي، وتأثّل بطارفهم تِلادي، أطال الله في أعمارهم ورفع أقدارهم"[3].

و- تأثره بالقرآن الكريم: وهذا العامل يفوق جميع العوامل الأخرى والذي كرّس له ربع قرن من حياته، وتوطدت علاقة ابن باديس بالقرآن الكريم منذ صباه، فقد حفظه وصلّى به التراويح، ودرس معانيه في الزيتونة، واشتغل بتفسيره خمسا عشرين سنة حتى ختمه، فكان المرجع الأساسي في دعوته الإصلاحية والركيزة الأم في مشروعه النهضوي، والقاعدة المثلى في تربيته وتعليمه للجيل الصاعد

[1] - المصدر السابق، ص: 79.
[2] - عمار قليل، "ملحمة الجزائر الجديدة"، ج1، دار البعث -قسنطينة- ط1، 1991م، ص:232.
[3] - "الشهاب"، ج4، م14، ص: 288.

حيث قال: "فإنّنا-والحمد لله- نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم..."[1].

فقد هزّ القرآن الكريم كيانه بمعانيه، واستولى على قلبه بتدبره وتأمله، وراح يستمد منه علاج أمراض القلوب وأدواء النفوس ويذيب جسمه الهزيل في سبيل إرجاع الأمة الجزائرية إلى الحقيقة القرآنية ومنبع الهداية الأخلاقية والنهوض الحضاري.

وفي ذلك يقول: "ثم الفضل أولا وأخيرا لله ولكتابه الذي هدانا لفهمه، والتفقه في أسراره والتأدب بآدابه، وإن القرآن الذي كوّن رجال السلف لا يكثر عليه أن يُكوّن رجالا في الخلق لو أحسن فهمه وتدبيره وحملت الأنفس على مناهجه"[2].

فعبد الحميد يُعدّ من الأوائل الذين ختموا تفسير القرآن في الجزائر، وكان ينشر تلك الدروس في مجلة "الشهاب"، تحت عنوان "مجالس التذكير".

4-2 العوامل الخارجية:

إضافة إلى ما أوضحناه من عوامل محلية في تكوين شخصية ابن باديس، نتحدث عن بعض العوامل الخارجية التي كان لها الأثر البالغ في بلورة معالم الفكر الإصلاحي عند ابن باديس.

أ- أحداث العالم زمن ابن باديس:

شهد العالم مع بداية العشرية الأولى من اقرن العشرين اهتزازات في استقرار أوضاعه السياسية، والاجتماعية فنتج عن الحرب العالمية الأولى، استنهاض مقومات الانتماء الحضاري لتحديد موقف الشعب الجزائري من هذا الصراع، وخاصة بعد فرض فرنسا للتجنيد الإجباري على الجزائريين للدفع بهم في معركة لا عهد لهم بها.

[1] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ص:80.
[2] - "الشهاب"، ج4،5، م14، ص:291.

ومن العوامل التي تفاعل معها ابن باديس "قيام الثورة العربية في مكة سنة1916م وما حملته من معان ودلالات حول إمكانية التغيير"[1]

"وفي سنة 1917م صُدِمَ الشعب العربي والاسلامي بصدور "وعد بلفور" المشؤوم الذي كان صدمة عنيفة"[2] لأن الأمر يتعلق بأرض لها في قلوب المسلمين قداسة دينية مستوحاة من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

هذه الأحداث غيرها أحدثت نقلة نوعية في تطور الوعي عند الجماهير عموما، وعند المفكر الإصلاحي عبد الحميد خصوصا الذي أدرك أن الخلاص من جميع هذه الأزمات يحتاج إلى جهد، وجهاد، وتضحية، وفداء

ب- حركة الإصلاح بالمشرق:

سعت فرنسا بكل ما تملك من قوة إلى عزل الجزائر عن محيطها العربي والاسلامي بحكم أنها جزء لا يتجزأ من فرنسا، إلا أن صوت حركة الإصلاح بالمشرق وصل إلى أعماق المصلحين الجزائريين وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس الذي حوّل التأثر إلى خطوات عملية يسعى من ورائها إلى التغيير الملموس.

ومن الشخصيات الإصلاحية المشرقية المؤثرة في شخصية ابن باديس: محمد عبده* الذي تأثر بأفكاره وآرائه، عن طريق مؤلّفاته وآرائه الفكريّة .

ومن الوجوه المشرقية الإصلاحية المؤثرة في ابن باديس الشيخ رشيد رضا** صاحب مجلة "المنار"، الذي نقل عنه مقالات نشرها في جريدة "الشهاب" كتفسير ابن باديس للقرآن تفسيرا سلفيا لا يهمل الواقع بل يجعله موضوع توجيه وإصلاح، بالإضافة إلى تأثره بآراء رواد آخرين أمثال

---

[1] - "آثار الإمام عبد الحميد بن باديس"، ج5، ص:23.

[2] - يُنظر عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، ص: 56.

* هو محمد عبده حسن خير الله، وُلد بمصر سنة 1260هـ/1849م، توفي سنة 1323هـ/1904م، كان ينتمي إلى الاتجاه المحافظ، منهجه في الإصلاح يقوم على التحليل والنقد والحوار، للتوسع راجع كتاب عبد المجيد عمر النجار، "مشاريع الإشهاد الحضاري"، دار الغرب الاسلامي –بيروت- ط1، 1999م، ص:88.

** وُلد رشيد رضا في قرية القلمون بطرابلس الشام، سنة 1282هـ/1865م، توفي في 22 أوت سنة 1935م.

الكواكبي*** والشيخ محمد بخيت المطيعي حامل الفكر الإصلاحي في الأزهر الشريف[1].

كما لعبت الجرائد والمجلات المشرقية دورا بارزا في نشر الوعي الإصلاحي ومحاربة اليأس والعجز لدى العرب المسلمين، ومثلتها في المقدمة:

- ✓ العروة الوثقى: التي أصدرها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده.
- ✓ المنار: أصدرها الشيخ رشيد رضا سنة 1898م، وكانت ترجمانا بيانيا لأفكار محمد عبده.
- ✓ اللواء: أصدرها مصطفى كامل سنة 1900م، وكانت منبرا قوميا دافعت عن قضايا الوطن العربي ومنها الجزائر.

ومن هذا كله يتبين أن الحركة الإصلاحية المشرقية أسهمت اسهاما كبيرا في رسم معالم شخصية ابن باديس، خاصة في جانبيها الفكري والثقافي، الذي من خلالهما رُسم المشروع الإصلاحي بكل أبعاده الدينية والاجتماعية، والسياسية.

5- وفـــــاته:

بعد أن أثمرت دعوة عبد الحميد بن باديس في الجزائر والمغرب العربي، وأتت أكلها، وزكت وأينعت وحوّلت وجه التاريخ الجزائري بتعاليمه النيّرة، و تغلغل نوره في كل أرجاء الجزائر، "وسار في شرايينها مسرى الروح في الجسد وأعاد إليها الحياة، و أكسبها القوة والمنعة والصلابة..."[2].

تتدهور حالة الشيخ، وقد تكون عدة أمراض قد اجتمعت على الإمام، نتيجة المجهودات الجبّارة التي بذلها ونتيجة عدم اهتمامه بنظام غذائه ونوعيته، ونتيجة عدم عنايته بصحته لعدم وجود الوقت لديه.

*** وُلد الكواكبي بحلب سنة 1270هـ/ 1854م، 1320هـ/1902م، ينتسب إلى أسرة عريقة في العلم، كان يتقن اللغة التركية والفارسية، أصدر صحيفة "الشهباء"، و"الاعتدال"، ثم اكتملت رؤيته في إصلاح الأمة الإسلامية فأصدر كتابين: "طبائع الاستبداد"، و "أم القرى"

[1] - يُنظر عبد القادر فضيل، ومحمد الصالح رمضان، "إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس"، ص: 101.

[2] - أحمد توفيق المدني، "حياة كفاح (مذكرات)"، ج2، ص: 275.

"يموت العملاق الفحل، والعبقري الخالد عبد الحميد، ميتة الأبطال المجاهدين المصلحين بين كتبه وتلاميذه، في يوم الثلاثاء 08 ربيع الأول 1359هـ، الموافق لـ16 أبريل 1940م، بمدينة قسنطينة."[1]

جاءت ساعة الدفن الرّهيبة، "شاهدها ما بين خمسين وسبعين ألفا، من بينهم أبناء المكاتب، والمدارس العربية والفرنسية، والكشافة الاسلامية، وسائر الجمعيات على اختلاف مقاصدهم، وشارك فيها النسوة المتعلمات بالجامع الأخضر، وكان عددهن كثير"[2]، وكأن عبد الحميد بن باديس كان والد الشعب الجزائري برمّته؛ "وحمله تلاميذه بهدوء ونظام إلى مقره الأخير، وقد صلّى عليه الأستاذ العربي التبسي وأبّنه، كما أبّنه الأستاذ مبارك الميلي[3].

رحم الله ابن باديس العظيم، فقد قضى حياة قصيرة في العدد، كبيرة في الأثر، "عاش خمسين سنة، قضى أقل من عشرين منها في التعليم، وأكثر من ثلاثين في نشر العلم الهداية الاسلامية، وتأسيس المشاريع العامة المفيدة وتنظيم التعليم العربي"[4].

لقد دخل عبد الحميد بن باديس عالم الخلود من أوسع أبوابه، بفكره الفريد ومنجزاته الحضارية، "ومن كان مثله علماً وعملاً، وجهادا ونفعاً، وتواضعا وزهدا وورعاً، فهو خالد لا يموت، إنه موجود في كل قلب، إنـه حيّ في كل فكر، إنه حاضر في كل ضمير، إنه الشمس المشرقة التي لا تغيب أبداً، مهما قال شانئوه، ومهمـا همز ولمز حاسدوه"[5]، وذكراه باقية خالدة بقاء وخلود التعاليم الصالحة في المجتمع الصالح.

---

[1] - محمد بهي الدين سالم، "ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير"، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ/1999م، ص:39.

[2] - محمد الهادي الحسني، "أشعة الشروق"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010م، ص:163.

[3] - المرجع نفسه، ص: 163.

[4] - المرجع نفسه، ص:164.

[5] - أحمد توفيق المدني، "حياة كفاح (مذكرات)"، ج2، ص:275.

6- آثـــــاره:

لم يهتم ابن باديس طوال حياته بجمع مؤلفاته، أو وضع مواضيعه في مؤلف واحد ومحدّد، وإنما كانت آراؤه تُشرحُ، وتُنشرُ في الجرائد الإصلاحية، لذلك وجد الباحثون في جمع مؤلّفاته صعوبة كبيرة، لأنها – كما هو معروف – كانت مطوية في شتّى الكراريس والجرائد.

وقد اعترف البشير الإبراهيمي بأن "الأخ الصّديق، لم يكتب أماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئا منها، وضاع على الأمة كنز وعلم لا يُقوّم بمال، ولا يعوّض بحال"[1].

وبعد مرور ثماني سنوات على وفاة الشيخ ابن باديس، قام **أحمد بو شمال** بمحاولة فردية عام 1948م، حيث نشر تفسير آيات من **سورة الفرقان**، جرّدها من مجلة **الشهاب**، ونشرها في كتاب مستقل"[2]، وبقي الوضع على حاله واستمر اهمال البحث عن آثار ابن باديس إلى ما بعد الاستقلال، ثمّ ظهرت المصنّفات التالية:

1- تفسير ابن باديس: الذي نشره الأستاذان محمد الصالح، وتوفيق محمد، الذي طُبع ونُشر عام 1948م، وهو "عبارة عن مجموع ما نُشر من تفسير لبعض آيات القرآن الكريم في افتتاحيات **الشهاب**، التي كان يكتبها ابن باديس تحت عنوان: **"مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"**[3].

2- مجالس التذكير من حديث البشير النّذير: وقد طبعته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر سنة 1403هـ/ 1983م.

3- العقائد الإسلامية، من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: وهو عبارة عن دروس كان ابن باديس يُلقيها، أو يُمليها على طلاّبه، وتتعلّق بأصول العقائد الإسلامية، والاستدلال عليها من القرآن والسنة، وقد رواها وعلّق عليها تلميذه محمد الصالح رمضان.

---

[1] - "تفسير ابن باديس"، مقدمة بقلم البشير الإبراهيمي، ص: 34.
[2] - يُنظر المصدر نفسه، ص: 35.
[3] - أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – (د،ط)، 1985م، ص: 144.

طُبع من الكتاب طبعتان في مطابع دار الكيلاني في القاهرة.

4- كتاب رجال السلف ونساؤه: وهو مجموعة من المقالات ترجم فيها ابن باديس لبعض الصحابة – رضوان الله عليهم – ذاكراً الصفات التي اكتسبوها من الإسلام، وما كان من أعمالهم في سبيله.

نُشرت تلك التراجم في مجلة **الشهاب.**

5- تحقيق ابن باديس لكتاب العواصم والقواسم للإمام ابن العربي: وقدّم له وطبعه سنة 1928م في جزأين بمطابع الشهاب بقسنطينة.

6- تراجم الأعلام: ترجم ابن باديس لكثير من أعلام الإسلام، من السلف، والخلف في صفحات مجلة **الشهاب.**

7- ابن باديس حياته وآثاره: إعداد وتصنيف عمّار الطالبي، نشرته دار ومكتبة الشركة الجزائرية – الجزائر – 1968م.

يقع الكتاب في أربعة أجزاء في مجلدين، يشتمل الجزء الأول والثاني (المجلد الأول) على مدخل للحياة العقلية، والثقافية للمغرب العربي، وعلى ترجمة لحياة ابن باديس، وعرضٍ لآثاره المتعلّقة بتفسير القرآن وشرح الحديث.

ويشمل الجزءان الثالث والرابع (المجلد الثاني) على المقالات الاجتماعية والتّربوية، والأخلاقية، والدينية، والسياسية التي كتبها ابن باديس"[1].

8- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس: وقد قامت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر، بجمع كثير ممّا حوته الجمعية من نشاطات الإمام عبد الحميد، في مجالات التربية والتعليم، والرّحلات التي كان يقوم بها داخل الوطن، لنشر دعوته الإصلاحية.

[1] - يُنظر أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين"، ص: 144.

وهكذا ترك ابن باديس هذه الدنيا، ولم يترك فيها شيء لنفسه، فقد أمضى حياته فيها مُكبّاً في الليل على القراءة والتّدوين، وفي النّهار يُعلّم ويجتمع بالناس، فهو بحق شخصية غنيّة ومعبّرة عن أزمة المجتمع الإسلامي، لا تماثلها أيّ شخصية في تلك الحقبة العصيبة، في تراثها وشمولها، وجرأتها وتعبيرها عن جميع جوانب المشكلات الإجتماعية والأخلاقية، والدينية، والعلمية، والسياسية

الفصل الثاني:

واقع الجزائر ودعوة ابن باديس الإصلاحية.

1- المشروع الاستعماري في الجزائر:

- سياسة التنصير.
- سياسة التجهيل.
- سياسة التفقير ومصادرة الأراضي.
- سياسة التجنيس والإدماج.

2- فكر ابن باديس الإصلاحي:

- الجوانب المميزة لفكر ابن باديس الإصلاحي:

- النزعة العلمية والمعرفية. – النزعة الواقعية. – النزعة المرحلية.
- النزعة العملية. – النزعة الوحدوية. – النزعة الإنسانية.

3- جمعية العلماء المسلمين:

- الفكرة والتسمية.
- تأسيس الجمعية.
- أصول ومبادئ الجمعية.
- القانون الأساسي للجمعية
- الأهداف العامة للجمعية.
- جرائد الجمعية.

1- المشروع الاستعماري في الجزائر:

منذ دخول فرنسا إلى الجزائر، عملت سرّاً وعلانية على تحطيم الكيان الجزائري والقضاء على مقومات الشخصية الجزائرية، لقد حارب الاستعمار في الجزائريين العروبة، والإسلام، والعلم، وحارب فيهم الفضيلة، وشدّد عليهم الخناق، وسدّ أمامهم كل منفد إلى الحرية والانعتاق، ومن الخطوط العامة لهذه السياسة الاستعمارية ما يلي:

1.1 - سياسة التنصير:

وتظهر سياسة تنصير الشعب الجزائري في أن فرنسا "قامت منذ بداية الاحتلال بالاعتداء على كل مقدّساته الاسلامية من أوقاف وزوايا ومساجد، ومكتبات ومعاهد اسلامية"[1].

وقد قامت فرنسا بتحويل عدد كبير من المساجد إلى كنائس لتلقين الدين المسيحي مثل "جامع كيتشاوة" الموجود في مدينة الجزائر، الذي حوله المستعمر إلى كاتدرائية للديانة المسيحية، وكذلك جامع "صالح باي" في مدينة قسنطينة"[2]، "وتمكنت سلطات الاحتلال من إخضاع جميع الزوايا لنفوذها، ولم يبق رجل الدين يتردد على المساجد والمدارس معلما، ومرشدا، إلاّ إذا كان خاضعا لأوامر الإدارة الفرنسية"[3].

كانت الحياة الدينية في تدهور وجمود، حتى أصبح للإلحاد الغربي مبلغا كبيرا من التأثير في مسلمي الجزائر، ووصل بهم إلى إنكار دينهم وعدم الغيرة عليه، وحينها أعلن أحد الجنيرالات الفرنسية "أن أيام الاسلام قد دَنَت، وبعد أعوام سيكون إله الجزائريين هو المسيح عليه السلام"[4].

وبفضل هذه السياسة مهّدت فرنسا لدولة مسيحية تُضاء أرجاؤها بنور الإنجيل، وتغرس تعاليمها في عقول الجزائريين ليتشبثوا بأعراف الوثنية.

---

[1] - يُنظر تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة"، ص:79.
[2] - يُنظر المرجع نفسه، ص: 80.
[3] - عبد الكريم بو الصفصاف، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية"، عالم المعرفة للنشر والتوزيع –الجزائر- (د،ط)، 2009، ص:43.
[4] - يُنظر تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد باعث النهضة"، ص:80.

2.1- تجهيل الجزائريين وبث فيهم الثقافة الفرنسية:

بدأت فرنسا منذ الغزو تحارب الثقافة العربية، فقضت على المراكز الثقافية المزدهرة في الجزائر، حيث "أغلقت عددا كبيرا من مدارس ابتدائية وثانوية وعالية كانت موجودة في الجزائر سنة 1830م"[1].

يقول أحد الكتاب الفرنسيين: "لقد أشاع دخول الفرنسيين، في الأوساط الأدبية والعلمية، اضطرار شديدا، فهجر معظم الأساتذة الأفذاذ مراكزهم، هاربين... وقد يقدر عدد الطلاب قبل1830م بمائة وخمسين ألف طالب أو يزيدون...فلم ينجح من المدارس القديمة سوى عدد قليل من المدارس الصغيرة، وحُرمت أجيال عديدة من التعليم"[2].

والواقع أن السياسة الاستعمارية الفرنسية، كانت ترمي إلى تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الاسلامية العربية، وإلى تحويل الشعب الجزائري كله وإدماجه في الحضارة الأوربية والثقافة الفرنسية عن طريق نشر اللغة الفرنسية."[3]

لقد سعت فرنسا بكل ما لديها من وسائل، لتحطيم المرتكزات الروحية للشعب الجزائري، وتشويه صورته والقذف به إلى مدينة أوربا.

3.1- سياسة التفقير، ومصادرة الأراضي:

قامت فرنسا بمصادرة الأراضي الفلاحية الخصبة من الجزائريين، وتوزيعها على المستعمرين الأوروبيين الذين جلبتهم معها من مختلف البلاد الأوربية، " وقد استولى المهاجرين على الأراضي الخصبة الواقعة على مجاري المياه، وإبادة وعزل العنصر الأهلي إلى المناطق القاحلة وفيافي الصحراء"[4].

---

[1] - محمد طهّاري، الحركة: "الحركة الإصلاحية في الفكر الاسلامي المعاصر"، دار الأمة للنشر والتوزيع، ص:06.

[2] - محمود قاسم، "الإمام عبد الحميد بن باديس، الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية"، دار المعارف –مصر- 1968م، ص:08.

[3] - عمار الطالبي، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، ص:49.

[4] - عبد الكريم بو الصفصاف، "جمعية العلماء الجزائريين، ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية"، ص:31.

واستطاعت فرنسا أن تُنفذ سياستها طبقا لمنهج الجنرال "بيجو" الخاص بتوطين أكبر عدد من الأوربيين في الجزائر، يقول: "إن الدولة إذا رغبت في إقامة حكم ثابت في إقليم خارجي، يجب ألا تكتفي بإخضاعه عسكريا وسياسيا فقط، بل لابد من نشر عنصرها فيه، وبالتالي يجب على الحكومة أن تتولى بنفسها عملية نقل المهاجرين، وشق الطرق وتعبيدها، وتخطيط المدن، وبناء المساكن؛ ومدّ المهاجرين بالحبوب والمواشي في السنوات الأولى من هجرتهم إلى أن يصبحوا قادرين على استثمار الأراضي واستغلالها بأنفسهم"[1].

1.4- سياسة التجنيس والإدماج:

عملت فرنسا لعقود على منح الجزائريين الجنسية الفرنسية مقابل التخلي على الجنسية الجزائرية؛ وأصدرت قوانين تبين حقوق وواجبات الجزائري الذي أخذ الجنسية الفرنسية.

يكون "المسلم الجزائري فرنسي، لكنه يستمر خاضعا لأحكام القانون الاسلامي، ويمكن استدعاؤه للخدمة العسكرية في جندي البرّ والبحر، ويمكنه إذا طلب ذلك أن يتمتع بحقوق المواطن الفرنسي، وفي هذه الحالة تجري عليه الأحكام المدنية والسياسية الفرنسية"[2].

وقد عملت السياسة الفرنسية بجهد إلى دفع الجزائريين إلى التجنس بالجنسية الفرنسية، بعد أن يتنازلوا عن قانون الأحوال الشخصية الاسلامي المتمثل في الزواج، الطلاق، والميراث، وبعد هذا دمج الجزائر شعبا وأرضا في فرنسا.

2- فكر ابن باديس الإصلاحي:

إن الفكر الإصلاحي في الجزائر، نابع من الفكر العربي الاسلامي الذي وصفه الغرب بالجمود والتقليد والتحجر هيّأ ابن باديس نشاطه الإصلاحي سنة 1913م، في بيئة استعمارية خانقة اتصفت فيها حياة الجزائريين باليأس والجهل

[1] - يُنظر تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم"، ص: 25.
[2] - يُنظر توفيق المدني، "كتاب الجزائر"، دار الكتاب – الجزائر – وطبع دار المعارف ب –القاهرة – 1983م، ص: 326، 327.

والفقر والجمود الفكري، والتمزق النفسي وسلب الحقوق والحريات وانحلال القيم الأخلاقية.

2-1 الجوانب المميزة لفكر ابن باديس الإصلاحي:

إن البيئة التي عاش فيها ابن باديس، والتيارات التي كان يصارعها، والضغوط الاستعمارية التي نالت منه ومن شعبه، صنعت منه شخصية قوية بإسلامها متطورة في تفكيرها، "شخصية تجمع في تفكيرها بين الاهتمام بالماضي، والتطلع إلى المستقبل بين الانكفاء على الذات والتفتح على الغير، بين الوطنية والقومية، بين ضرورات المحلية ومطالب العالمية، بين اليأس والأمل، (اليأس من وعود الاستعمار، و الأمل في التخلص من ولايته)، بين الرفض والقبول، (رفض السيطرة الغربية، وقبول العوامل التي أدّت إلى تقدم الغرب وجعلت منه قوة)، بين الاهتمام بالتراث والإقبال على العلوم المعاصرة؛ وبكلمة جامعة بين الأصالة والمعاصرة"[1].

وسنجمل بعد هذا التمهيد بعض خصائص ومميزات فكر ابن باديس، وهي:

أ- **النزعة العلمية والمعرفية**: ينطلق ابن باديس في نزعته العلمية من مرجعية أساسها الاسلام، الذي يجعل لكل شيء سننا كونية لا تتبدل ولا تتأخر، قال تعالى:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[2]،وغاية الإنسان في هذا الكون هو إدراك هذه السنن والتعامل معها حتى يحقق مبتغاه الدنيوي والأخروي.

والنزعة العلمية التي أسس عليها ابن باديس منهجه في الإصلاح "قائمة في مبناها وأصولها وكل قضاياها على العلم الحقيقي، المحيط بالإنسان والكون

---

[1] - الإمام الشيخ العربي التبسي، "مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر"، جمع وتعليق: شرفي أحمد الرفاعي، دار البعث للطباعة والنشر – قسنطينة – الجزائر – ط1، 1404هـ/ 1981م، ص: 188.

[2] - سورة الأحزاب، الآية: 62.

والحياة"[1]، وقد أدرك ابن باديس تلازم وتوافق العلم والدعوة ونلحظ ذلك جليا في تفسيره لقوله تعالى:﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾"[2].

فابن باديس كان يدرك ما يقول ويعي ما يفعل، ودعوته قائمة على الحجة والبرهان، "فكان يستشهد بالعقل، ويعتضد بالعلم، ويستنصر بالوجدان، ويحتجّ بأيام الله في الأمم الخالية"[3].

وبهذا يجعل ابن باديس العلم في الدرجة الأولى لبلوغ مراميه في دعوته، لأن كمال الدعوة هو البلوغ في العلم إلى حدّ أقصى يصل إليه السعي.

ب- النزعة الواقعية: إن الفلسفة التي يمكن أن نجعلها جانبا من تفكير ابن باديس، هي "الفلسفة العملية التي يستطيع أن يترجمها الإنسان إلى واقع الحياة، ويعيش حقائقه الفلسفية التي يتطابق فيها القول مع الفعل، والاعتقاد مع السلوك، ويتكامل فيها التصور النظري مع الممارسات العملية...ويكون مُنطلقها واقع المجتمع وأساسها روح الاسلام وأصوله"[4]

نستخلص من هذا كله أن فكر ابن باديس تطبعه فلسفة واقعية، تنبع من عقل واعٍ، مرتبط بوطنه، وملتزم بحقائق دينه، فالسمة البارزة في هذا التفكير هي السمة الدينية المطعّمة بالنزعة العقلية.

إن المتتبع لآراء ابن باديس، في الدين والسياسة والأخلاق والعلم والتربية وفي القضايا الوطنية والثقافية، تبين لنا أن تفكير ابن باديس "تفكير عقلاني متفتح من جهة وسلفي ملتزم من جهة ثانية، والسلفية عنده لا تعني تقليدا أعمى للأوائل ولا تقديسا للماضي من حيث هو ماضي، وإنما تعني اتباعا للمنهج الذي رسمه الاسلام، وسار عليه رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وصحابته رضوان الله عليهم، والنهج الذي اتبعه الأئمة المجتهدون الذين فهموا حقائق الاسلام

[1] - عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، ص: 86.
[2] - سورة يوسف، الآية: 108.
[3] - الإمام عبد الحميد بن باديس، "مجالس الذكر من كلام الحكيم الخبير"، ص:123، 124.
[4] - عبد القادر فضيل، "إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس"، ص:144.

واستلهموها في اجتهاداتهم و أحكامهم، و في معالجة الأمور التي طرأت على مجتمعاتهم"[1].

ونستخلص أن الطريقة المعتمدة هي المزاوجة بين التفتح العقلي على الحياة المعاصرة، والالتزام بالأصول الدينية الصحيحة، وهو تزاوج مستمد من تفكير اسلامي محض.

ج- **النزعة المرحلية**: المرحلية هي الفهم الدقيق والصحيح لما يُراد انجازه ومن ثمَّ ترتيب العمل الإصلاحي وربطه بالمكان و الزمان، وابن باديس اتخذ المرحلية كعامل أساسي من عوامل نجاح الدعوة الإصلاحية، وهي تفويت الفرصة على فرنسا حتى لا تقضي على بذور مشروعه الحضاري، وقُسّم عمله المرحلي مثلا في تفسيره للقرآن الكريم، الذي استغرق خمسا وعشرين سنة وهذا إن دل على شيء إنما يدل على طول النفس والايمان بالمرحلية كشرط لإنجاز المهمات والقضايا الكبرى.

أما في مجال ولوجه الساحة السياسية، فقد قُسِّم مسار العمل الإصلاحي عند ابن باديس إلى مرحلتين:

- **المرحلة الأولى**: من سنة 1913م بعد عودته من الزيتونة وإدراكه للوضع المزري الذي تعيشه بلاده.

- **المرحلة الثانية**: فتبدأ من سنة 1936م "حين بدأ يترجم مواقفه السياسية التي سبق أن أرسى قواعدها وأصولها العقائدية، إلى أعمال كان أولها اشتراكه في المؤتمر الاسلامي بصفته الشخصية لا بصفته رئيسا لجمعية العلماء"[2]، وما يؤكد كذلك نزعته المرحلية التدرج في مناهج التعليم، واختيار برامج تعليمية خاصة بكل فئة وتنوع المعلومات المقدمة للطفل وفق برنامج زمني يومي، وأسبوعي، وسنوي مدروس.

فمن خلال هذه النماذج المقدمة، تبين لنا أن ابن باديس استطاع أن يؤكد على أن النزعة المرحلية شرط أساسي في منهجه الإصلاحي.

---

[1] - المصدر السابق، ص: 145.

[2] - حسن عبد الرحمن سلوادي، "عبد الحميد بن باديس مفسرا"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر-، (د،ط)، 1984م، ص: 220.

د- النزعة العملية: تعتبر النزعة العملية نتاج النزعة الواقعية، وظهر ذلك من خلال فقرات عديدة سابقة أن دعوة ابن باديس تتميز بجانب نظري عقلي يتمثل في معرفة الحقائق معرفة يقينية، غير أن نزعته العملية أعطت لحركته التجديدية السلفية بعدا حضاريا عاما واجتماعيا خاصا، ففكرة المسؤولية في حياة لبن باديس تجلت عملا وسلوكا، وليست مسؤولية نظرية أو دعوة يدعو إليها، ويبقى في منأى عنها، "بل كانت عملا يُقدِم عليه قبل أن يذكره للناس، كانت تطبيقا سلوكيا وفعليا، تلاشت خلالها مصلحته الشخصية، وبرزت مصلحة الأمة والوطن؛ كانت بالنسبة إليه واجبا لا مناص منه، فرضه على نفسه تُجاه وطنه وأمته، وهي مسؤولية سياسية إصلاحية، واجتماعية أخلاقية ودينية"[1]، وتجلت ضروب هذه المسؤولية في مجالات شتى، ولكن دافعها واحد، وهو الوضع الذي كان عليه المجتمع الجزائري في مختلف أوجهه، وكانت غايتها واضحة وهي تغيير الوضع المؤلم الأسود، والوصول إلى وضع يشعر الفرد بقيمته في الحياة.

فبالرغم من سعة علم ابن باديس، وعمق ثقافته، وكثرة اطّلاعه، وقدرته على التأليف، ونشر الكتب، اهتم بالعمل الميداني الهادف، وهو تأليف الرجال الأكفاء القادرين على الإصلاح، والتغيير حيث قال: "إن الشعب...ليس اليوم بحاجة إلى تأليف الكتب، بقدر ما هو بحاجة إلى تأليف الرجال...هَبْ أني انصرفت إلى التأليف، وانقطعت عمّا أنا اليوم بصدده من نشر العلم، وإعداد النشء، الأمة، فمن يقرأ كتبي، وتآليفي؟، مادام الشعب في ظلمات الجهل والأمية؟، إن إعداد معلّمٍ واحد كفءٍ، يتصدّى لمحاربة الجهل الفاشي في ربوعنا لَخيرٌ لمجتمعنا من ألف كتاب...تُحفظ في خزائن إلى أن تبيدَ وتبلى"[2].

فالشيخ الن باديس يعطي الأولوية إلى تكوين الرجال وبُناة النهضة، ثم تأتي بعدها حتمية التأليف التي لا تعطي ثمارها إلا إذا وجدت من يعي مضمونها وأبعادها، ويُؤكد ابن باديس على ذلك في قوله: "إنّنا لا نريد أن نُكوِّن من تلامذتنا اليوم علماء بحث، وفلسفة، وآداب، وخيال...ولكن نريد قبل كل شيء أن نكوِّن منهم بُناة نهضة، ودُعاة اسلام، وجهادٍ، ووقوف بالمرصاد للاستعمار الذي أقام

---

[1] - عمر بن قينة، "صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام ، وقضايا، ومواقف)"، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر- 1993، ص: 152.

[2] - محمد الصالح الصديق، "الإمام ابن باديس من آرائه ومواقفه"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع –الجزائر- ط1، 2007، ص:71.

سياسته على أساس محاربة مقوماتنا الروحية، والثقافية حتى يسهل عليه أن يبتلعنا، ويقضيَ على شخصيتنا...إنّنا لن نُمكِّنه أبداً ممّا يريد"[1].

فهكذا استطاع ابن باديس من خلال نزعته العملية أن يرميَ إلى أبعاد، وآفاق حضارية، رسمها وخطط لها في مشروعه النهضوي الإصلاحي، سنتطرق إليها بالشرح والتفصيل في فصلنا الثالث.

هـ - النزعة الوحدوية: ظهرت نزعة ابن باديس الوحدوية في تصدّيه لمشروع فرنسا، الذي حاولت من خلاله تقسيم الشعب الجزائري إلى قسمين: عرب وبربر، ووجد أن تمسُّك الشعب بعروبته، واسلاميته كفيل بإفشال هذه المحاولات الاستعمارية، وفي ذلك يقول: "إن أبناء يعرب، وأبناء مازيغ (البربر)قد جمع بينهم الاسلام منذ بضع عشرة قرنا، ثم بدأت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدَّة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السرّاء والضراء حتى كوَّنت منهم...عنصرا مسلما جزائريا، أُمُّه الجزائر وأبوه الاسلام..."[2].

وقد رأى ابن باديس أن الخطوة الأولى في سبيل تحرير الجزائر من الاستعمار، تبدأ من الوحدة الوطنية والقومية، فقد كان موقفه صارما، فلم يُداهن ولم يساوم ولم يرض بالرضوخ، وصرخ قائلا:

شعب الجزائر مسلـــم وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب[3]

كما تجلَّت نزعته الوحدوية في عدة جبهات، يتضح ذلك في كتابه العقائد الاسلامية، وكذا مجالس التذكير سواء في القرآن الكريم أو الحديث الشريف.

أما فيما يخص نظرته للمواطنة الصحيحة، فيؤكّدها في قوله: "وبالنسبة للوطن وجب علم تاريخه، والقيام بواجباته من نهضة علمية، واقتصادية، وعمرانية،

---

[1] - محمد الصالح الصديق، " الإمام ابن باديس من آرائه ومواقفه"، ص:72.

[2] - يُنظر "الشهاب"، ج11، م11، فيفري 1936م، ص: 605.

[3] - "آثار الإمام عبد الحميد بن باديس"، ج2، ص: 308.

والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه"[1].

أما الوحدة العربية في إطارها القومي، فابن باديس يؤمن بها إيمانا مطلقا فهو يرى أن "هذه الأمة العربية تربط بينها - زيادة عن رابطة اللغة - رابطة الجنس، ورابطة التاريخ، ورابطو الأمل، فالوحدة القومية الأدبية متحققة بينها لا محالة"[2].

وبالنسبة للوحدة السياسية، فيرى ابن باديس أنها لن تتحقق إلاّ بتحقق شرط الحرية، وبوضع هذا الشرط ينبّه ابن باديس إلى ضرورة التفكير في ايجاد هذه الشروط قبل الحديث عن امكانية قيام الوحدة السياسية.

و- النزعة الإنسانية: استلهم ابن باديس نظرته القومية والانسانية من سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم-، الذي كان يهتم في بداية الدعوة الاسلامية بأفراد أسرته وهم قومه الأقربون، ثم يهتم بسكان مكة وهم عشيرته، ثم يهتم بعرب الجزيرة وهم بنو قوميته، ثم يهتم بالإنسانية كلها في جميع أنحاء العالم، وعلى هذا النسَق سار ابن باديس في التعبير عن شعوره الإنساني حيث يقول: "إنّنا نحبُّ الإنسانية ونعتبرها كلاّ، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا، ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها ونبغض من يبغضها ويظلمها، وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه ونبغض من يبغضه ويظلمه"[3].

فعلى هذه الروح السامية اِنطوى تفكير ابن باديس، وتغذت روحه، واستطاع أن يغرس معاني الإخاء والتعاون في تلامذته وأتباعه، وحصَّنهم من الوقوع في الرذائل، وأبعدهم عن التعصب في اتخاذ الأمور.

والفائدة المرجوة من معرفة هذه الجوانب المميزة لفكر ابن باديس، تمكّننا من تصوُّر أبعاده الإصلاحية، سواء الدينية أو الإجتماعية أو الأخلاقية أو التعليمية...وبذلك نستطيع دراسة، ووصف هذه الأهداف والآفاق التي سطَّرها الشيخ عبد الحميد بن باديس في مشروعه الحضاري.

---

[1] - يُنظر "الشهاب"، ج11، م11، ص:155.

[2] - صالح خرفي، "صفحات من الجزائر"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر- د.ت، ص:90.

[3] - "المنتقد"، العدد الأول، 2 جويلية 1925م، ص:01.

3- جمعية العلماء المسلمين:

ما من أمة من الأمم التي على وجه الأرض إلا وهي مدينة في نهضتها أو استقلالها لجمعية أو جمعيات، خَدمَتها وأخلَصت في خدمتها.

فحاجة الأمم إلى الجمعيات ضرورية كحاجتها إلى الغداء الذي به قوام الحياة، والجمعيات الفعلية هي التي تقوم على أفراد مفكرين، مثقفين لخدمة مبادئ سامية وغايات نبيلة، تهتم وتناضل من أجل نهوض الوطن، وحياة الأمة وترقية المجتمع.

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]. "ذلك لأن الإنسان بمفرده مهما أُوتي من وفرة علم، وسداد الرّأي، ومضاء العزيمة والإخلاص في العمل، فلن يكون لعمله من التأثير والنفود ممّا يكون له لو كان في جماعة"[2]، ويتبين إذا أنَّ تكوين جمعية في الجزائر في هذا الوقت مطلب أساسي في مشروع الإصلاح، فالتقاء المصلحين على مشرب واحد هو شعور روحيٌّ، والتقاء فكري منهجي.

3-1 الفكرة والتسمية:

لقد عاشت الأمة الجزائرية أحقابا طويلة بين فكي الجهالة والفوضى الدينية، وتعالت فيها أمواج الفتن والأعاصير، إلى أن قيَّض الله لها من أبنائها رجالا علماء حكماء، درسوا عللها، وشخَّصوا مرضها، وراحوا يصنعون الدواء لهذا الوضع المؤلم، الذي استفحل جرحه في كامل كيان هذه الأمة العربية المسلمة العريقة بتاريخها الأصيل.

وقد كان ابن باديس صاحب فكرة تأسيس جمعية كهذه، "إذ كان يؤمن بالعمل الجماعي المنظم، وكان يُقرن الدعوة اللفظية بالعمل، وفي نظره أن النهضة الإصلاحية تقوم على الفكر والتخطيط، والتنظيم، والانضباط"[3]، فهو

---

[1] - سورة آل عمران، الآية: 104.

[2] - "البصائر"، السنة الأولى، العدد1، ص:10.

[3] - يُنظر أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3شارع زيروت يوسف –الجزائر- د،ط 1985، ص:96.

القائل: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإذا كانت لهم جماعة منظمة، تُفكّر وتدبّر وتُشاور وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة"[1].

وانطلاقا من هذه الفكرة والرؤية الجماعية، اجتمع عبد الحميد بن باديس مع أخيه البشير الإبراهيمي في مدينة سطيف، الذي كان في زيارة علمية لها سنة أربع وعشرين تسعمائة وألف، وعقد العزم على تأسيس جمعية باسم "الإخاء العلمي"، يكون مركزها بمدينة قسنطينة، تقوم على جمع شمل العلماء والطلبة، وتُوحد جهودهم، وتُقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير، فهمَّ البشير الإبراهيمي بوضع القانون الأساسي لهذه الجمعية، واتفق العالمان على دعوة العلماء إلى الاجتماع، والسير في تطبيق المشروع[2]، وبعد تخطي العقبات التي واجهتها الجمعية في بداية تكوينها، وصل صوتها إلى جميع الضمائر فأحياها وأيقظ العزائم في النفوس، واستطاع ابن باديس أن يُثبت غرض هذه الجمعية، وهو جمع القوى الموزّعة من العلماء على اختلاف حظوظهم في العلم، لتتعاون على خدمة الدين الاسلامي واللغة العربية، والنهوض بالأمة الجزائرية، ويُؤكد عبد الحميد ذلك في قوله: "لو اتحد العلماء على حقهم كما اتحد غيرهم على باطلهم لسعدت الأمة ونجت من بلاء كثير"[3].

فالعلامة ابن باديس يكرر نداءه إلى العلماء قائلا: "أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري، إنّ التعاون أساس التآلف، والاتحاد شرط النجاح، فهلُمّوا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض، غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام، والرجوع به إلى أصلي الكتاب والسنة"[4]، وساعدت على ترويج هذه الفكرة وسائل عديدة تمثلت في الجرائد، والمجلات، التي لقيت اهتماما كبيرا من جماهير المصلحين، "إن مثل هذه الفكرة التي كانت تروجها الصحافة بالإضافة إلى يقظة العالم الاسلامي كان لها تأثير كبير على الفكر الإصلاحي في الجزائر، كان المصلحون أثناءها يبحثون

---

[1] - عبد الحميد بن باديس، "تفسير ابن باديس"، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان، وتوفيق شاهين، دار الكتاب الجزائري - الجزائر – 1964م، ص: 428.

[2] - يُنظر "آثار محمد البشير الإبراهيمي"، ج1، ط1، ص:120.

[3] - يُنظر "الشهاب"، العدد3، 26 نوفمبر 1935م، ص: 05.

[4] - المصدر نفسه، ص: 05.

عن المناهج الكفيلة لتطبيق الإصلاح، ويطرحون أهم الوسائل الاستراتيجية لمحاربة الجمود، والانحطاط الفكري والخلقي"[1]؛ فلم يمضي إلا قليل من الزمن حتى غمر الأمة شعور عام بلزوم إصلاح عام، يشمل الدين، والعلم، والاجتماع، "ورأت نهج الإصلاح في هذه المقومات الثلاث واضحا، فكانت دواعيه أسبق، وأسبابه أوثق، وأصبحت فكرة تأسيس جمعية من علماء الأمة لتشرف على هذا الإصلاح، وتتولى تخطيط مناهجه عقيدة راسخة مستولية على عقول العوام، والخواص، وأصبحت بواعث تأسيسها صادرة من الأمة لا من العلماء وحدهم"[2].

3-2 تأسيس الجمعية:

لقد تمَّ تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من صفوة من علماء الجزائر، الذين ينتمون إلى مدرسة التجديد الاسلامي التي ظهرت في العالم الاسلامي، وهؤلاء لهم ماض حافل في خدمة الثقافة العربية، والدعوة الإصلاحية، ومقاومة مشاريع الاستعمار، أمثال "الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الابراهيمي، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي"، وغيرهم..، فقد جمعت بينهم وحدة الفكرة ووحدة الهدف.

"وبرزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الوجود في الخامس من شهر مايو سنة واحد وثلاثين تسعمائة وألف، وقد اتخذت في بداية تكوينها نادي الترقي مقرا لها، الذي أُسس بالعاصمة في عام 1926م، فكانت تُعقد فيه الاجتماعات، وتُقام فيه المؤتمرات السنوية، وتُمارس منه نشاطها العام، وتولى رئاستها منذ البداية الشيخ عبد الحميد بن باديس، وتولى نيابة الرئاسة الشيخ محمد البشير الابراهيمي"[3].

كما تقاسم المسؤولون الكبار المهام فيما بينهم، وباشروا العمل، كُلٌّ في جبهته، وعُرفت الجمعية بتنظيماتها الإصلاحية في جميع المجالات.

وتُعدُّ الجمعية امتدادا للحركة الإصلاحية، التي بدأت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وقويت، واشتدَّ ساعدها منذ تأسيس صحيفة المنتقد، إلا أن

---

[1] - عبد الكريم بو الصفصاف، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، ص: 76.
[2] - "آثار البشير الإبراهيمي"، ج1، ص: 222.
[3] - يُنظر تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد ن باديس رائد الإصلاح الاسلامي"، ط5، ص:91.

الاختلاف الظاهري بين الصحف الإصلاحية والجمعية، هو أن الصحف كانت تطرق جميع الموضوعات، سياسية، دينية، وغيرها، بينما صحف الجمعية بعد تأسيسها، ابتعدت عن المواجهة مع السلطات، وقد كانت رغم عدم دخولها ميدان السياسة الفرنسية حسب المفهوم الغربي، إلا أنها كانت أكثر خطورة[1]، "ومن الثابت أن الجمعية التي تأسست لأغراض دينية محضة، لم تتخل عن دورها السياسي"[2].

وكان الهدف من إعلان الجمعية، بأنها ليست سياسية، هو تجنب المصير الذي لقيته معظم الحركات السياسية الوطنية في الجزائر، وباتخاذ الجمعية هذه السياسة، استطاعت أن تَبرُزَ والجزائر في أدقّ مرحلة، أتت في ظروف صعبة تتجسم في المشاريع الفرنسية، والتي تلغي وجود الجزائريين تاريخيا، وواقعيا، وفكريا.

وإذا تصفحنا مضمون مشروع الجمعية، فإنه حتما جاء لإقامة توازن على المستوى الثقافي الحضاري، والذي يؤدي بدوره إلى توازن على المستوى السياسي، ويبدو من الخطوط العامة لمشروع الجمعية أنه يتصف بالتكامل، والشمول في تلبية ما تستدعيه النهضة الحضارية، فالجمعية صاحبة رسالة وهدف واضح، ومن خصائصها أن تقول وتعمل، وتهدم لتبني على أساس صحيح.

وقد كانت العلاقة بين الجمعية والأمة الجزائرية علاقة روحية، لأن جمعية العلماء المسلمين كانت "تعمل في النهار الضاحي وتعاملها على المكشوف، وتبني لها قبل أن تطالبها بالثمن وتشركها في العمل"[3]؛ وتثبت لكل فرد في الجزائر، أن كل ما يوجد اليوم في بلدنا الجزائر من حركات، فهو مدين لجمعية العلماء، وكل ما يعلو فيها من أصواتٍ، فهو صدى لما كان يتردد على لسان باني النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس، من خلال دروسه الحية وخُطبِه المثيرة التي ألِفَهاَ الشعب الجزائري في كل المحافل الدولية.

---

[1] - يُنظر مازن صلاح حامد مطبقاني، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية"، 1349هـ - 1358هـ /1931م – 1939م، مؤسسة عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر- ط1، 2001، ص:84.

[2] - صلاح العقاد، "الجزائر المعاصرة" –القاهرة- معهد الدراسات العربية، 1963م / 1964م، ص:28.

[3] - "آثار البشير الإبراهيمي"، ج4، ص:23.

3-3 أصول ومبادئ الجمعية:

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على أصول و مبادئ ثابتة، استطاعت بها الجزائر أن تواجه الأعاصير، والتيارات الفكرية المتباينة، وأن ترسخ في نفوس الشعب شعار أن الجزائر عربية مسلمة، لن تزول بزوال الرجال، وبيَّنت ذلك في التزام ابن باديس بما يتناسب وعقيدة الإسلام، والتمسك بطريقة السلف وفهمها وتطبيقها، وتمثلت في أنَّ:

- الإسلام: هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده، وأرسل به جميع رسله، وكمله على يد نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -، وهو دين البشرية الذي لا تسعد إلاّ في أحضان إنسانيته.
- القرآن: هو كتاب الإسلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- السنة القولية والفعلية الصحيحة: هي تفسير وبيان للقرآن الكريم.
- سلوك السلف الصالح: - الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين- تطبيق صحيح لهدي الإسلام.
- فُهوم أئمة السلف الصالح أصدق الفُهُوم لحقائق الإسلام، ونصوص الكتاب والسنة.
- البدعة: كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة، ولم يثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم – فعله، وكل بدعة ضلالة.
- المصلحة: كل ما ارتبط بأمر الجماعة في أمور دينهم ودنياهم.
- أفضل الخلق هو محمد - صلى الله عليه وسلم - .
- أفضل أمة بعده: السلف الصالح، لسيرهم على نهجه وتطبيق تعاليمه.
- أفضل المؤمنين هم الأولياء الصالحون، لكمال تقواهم.
- التوحيد أساس الدين.
- العمل الصالح المبني على التوحيد هو الذي يرفع صاحبه.
- الابتعاد وتجنب كل الأعمال المؤدية إلى الشرك، لأنها تبعث صاحبها إلى الضلالة.
- محاربة الطرُقِيَة وأعمالها الخارجة عن نهج السلف الصالح.
- الدعوة إلى الإسلام، بالإقناع والمجادلة بالتي هي أحسن.
- تفهيم الجاهل، والرأفة به، لأنه أحق الناس بالرحمة.

- تطبيق الدين في معاملة المعاندين.
- مصلحة الأمة في اتحادها وتناسي الخلافات، والدعوة إلى العلم، والعمل، والحكمة.[1]

وتتلخص مبادئ جمعية العلماء المسلمين، في أن الإسلام دين انساني عالمي لكل البشر، كتابه القرآن، وأساسه التوحيد، يدعو إلى الأخوة والتعاون، والتكافل، والتعارف، ويُقرُّ الملكية والعدل والمساواة في الحقوق والواجبات، ويُحرّم الظلم والاستعباد، والاستبداد، ويجعل الحكم شوري، ويُوجب نبذ الخلاف حفاظا على وحدة الأمة، ويلّم الجاهل، ويحمي الضعيف من القوي المعتدي، ويبني الحياة على العقل و التفكير، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وبهذه المبادئ السامية والروحية، خرجت جمعية اسلامية عالية، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقول كلمة الحق، وتجمع الشعب حول هدف واحد.

3-4 القانون الأساسي للجمعية:

صادقت الهيئة العامة لجمعية العلماء المسلمين على قانون الجمعية الأساسي، يوم "الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة 1349هـ، الموافق للخامس من ماي 1931م، وعُيِّن للرئاسة المؤقتة أبو يعلى الزواوي، ووضع القانون الأساسي محمد الأمين العمودي، والحقيقة أن القانون الأساسي كان معدا من قبل، وهذا ما أوضحه الشيخ البشير الإبراهيمي في قوله: "فأعلنا تأسيس الجمعية في شهر ماي بعد أن حضَّرنا لها قانونا أساسيا مُختصرا من وضعي، أدرته على قواعد من العلم والدين، لا تثير شكا ولا تخيف"[3].

وتوالت الاجتماعات التأسيسية التي كان من نتائجها اختيار المجلس الإداري الأول، وهو كالتالي:

---

[1] - يُنظر "ابن باديس حياته وآثاره"، ج3، ص:131، 134.

[2] - سورة يوسف، الآية: 108.

[3] - مازن مطبقاني، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، 1349هـ - 1358هـ/1931م – 1939م، ص:78، 79، نقلا عن البشير الإبراهيمي "أنا"، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص:143.

- عبد الحميد بن باديس رئيسا.
- محمد البشير الابراهيمي نائبا للرئيس.
- محمد الأمين العمودي كاتبا عاما.
- الطيب العقبي نائب الكاتب العام.
- مبارك الميلي أمين المال.
- ابراهيم بيوض نائب أمين المال.
- المولود الحافظي عضو مستشار.
- الطيب المهاجي = =.
- مولاي بن شريف = =.
- السعيد اليجري = =.
- حسن الطرابلسي = =.
- عبد القادر القاسمي = =.
- محمد الفضيل اليراتني = =[1].

وبهذا الشكل تكونت الجمعية كسار الجمعيات من مجلس إداري ينتخبه اجتماع عام من جميع العاملين في التعليم والتدريس والوعظ، أما في عامها الثاني، فغُيّرت تشكيلات المجلس، وانضم إليها بعض الأعضاء الآخرين، ووُزّعت عليهم المهام بشكل رسمي وقانوني.

وقد ضمت الجمعية في عضويتها اتجاهات مختلفة، كان بعضها إصلاحيا مجددا، وكان البعض الآخر يمثل رجال الدين المحافظين، ويبدو أن انضمام رجال الدين من غير المصلحين "كان مجرد تكتيك ويتضح ذلك من أن المناصب الهامة قد تولاها المصلحون"[2]، وما يبرر انتخاب المجلس الإداري بهذه الكيفية، هو أن فئة المصلحين المجددين كانوا حرصين على إبعاد أرباب الزوايا، ورجال الطرق الصوفية المتعاونين مع الإدارة الفرنسية عن المناصب الهامة في الجمعية، ليتجنبوا احتمال فشل مشروع الإصلاح.

---

[1] - أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، ص: 109.

[2] - يُنظر أبو القاسم سعد الله، "الحركة الوطنية الجزائرية"، 1945/1930م، ج3، مطبعة البجلاوي، البولاقية -مصر- 1975، ص:87.

3-5 الأهداف العامة للجمعية:

سطرت الجمعية في مشروعها أهدافا سعت إلى تحقيقها، فمنها ما هو حالي، ومنها ما هو بعيد المدى، ويتمثل الأول "في تصفية الإسلام مما علق به من الشوائب، وإحياء اللغة العربية، ومعالم التاريخ القومي والاسلامي، وانشاء المدارس والمساجد لتوعية وتثقيف الشعب الجزائري صغاره وكباره، وتربية الشباب تربية عربية اسلامية، ومحاربة الآفات الاجتماعية بكل أنواعها، والوقوف ضد محاولة مسخ الشخصية الجزائرية، ومحو معالمها التاريخية"[1].

أما الهدف الثاني فكان استرجاع استقلال الجزائر، وتكوين دولة عربية اسلامية، وتأكد هذا المطلب في الخطاب الذي وجهه ابن باديس للشعب، وأنه يُحاول التهوين من المسعى، بل دعاه إلى الاستعداد لمعركة أشدّ ضراوة من المعارك السابقة، فقال:

"أيها الشعب إنك بعملك العظيم الشريف، برهنت على أنك شعب متعشق للحرية هائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا حاملين للوائها، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها...وكيف نحيا لأجلها،...

أيها الشعب، لقد علِمتَ، وانت في أول عملكَ، فاعمل ودُم على العمل وحافظ على النظام، واعلم أن عملك هذا على جلالته ما هو إلا خطوة ووثبة وراءها خطوات ووثبات، وبعدها إما الحياة، وإما الممات"[2].

فخطاب ابن باديس دعوة إلى مرحلة جديدة، وهي مرحلة الكفاح والاعتماد على النفس، والاستعداد للعمل الثوري، وخوض زمام المعركة.

3-6 جرائد الجمعية:

تعتبر الصحافة المكتوبة الوسيلة الإعلامية الوحيدة، التي كان لها دور فعال، وهي الوسيلة المنتشرة والمؤثرة في الرأي العام، وفي تشكيل القناعات الفكرية والسياسية للفئات المثقفة، والمتعلمة.

ومن البديهي أن جمعية العلماء المسلمين في مثل هذا العصر، في حاجة ماسة إلى جريدة أو جرائد، لتعلن فيها ما ترسمه من الخطط، وما ترمي إليه من أهداف؛

---

[1] - يُنظر عبد الكريم بو صفصاف، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، ص: 101.

[2] - يُنظر "الشهاب"، ج6، م12، أوت/سبتمبر 1936، ص:268، 274.

وكانت الدعوة الإصلاحية الباديسية السباقة إلى توظيف دور الصحافة لنشر الفكر الإصلاحي، والانتصار لقضايا الأمة العادلة، لأن عبد الحميد أدرك أن الجهاد بالكلمة له أهمية بالغة في نشر الوعي، وتنوير الفكر، والحفاظ على دين ومقومات الأمة، وسنجمل أهم جرائد الجمعية في جدول، نبين من خلاله سنوات صدورها، وأعدادها، وأهم رؤسائها:

الجريـــدة	أسبوعية / شهرية	رئيســهـــا	العـــــدد	من.....إلى....
جريدة السنة النبوية	أسبوعية	الشيخ/الطيب العقبي الشيخ/السعيد الزاهري	13 عددا	من 10أفريل إلى 03جويلية 1933م أي عاشت ثلاثة أشهر.
جريدة الشريعة المحمدية	أسبوعية	تحت رئاسة عبد الحميد بن باديس	7 أعداد	من 17 جويلية إلى غاية 28 أوت 1933م أي عاشت شهر ونصف.
جريدة الصراط السوي	أسبوعية	يديرها الشيخ عبد الحميد بن باديس وصاحب امتيازها أحمد بوشمال	17 عددا	من 11 سبتمبر 1933م إلى 8 جانفي 1934م أي عاشت أربعة أشهر وأسبوعا.
جريدة البصائر	بـــــفـــــرعـــــيـــهـــــا			
بصائر ما قبل الحرب	أسبوعية	الشيخ/ الطيب العقبي في السنتين الأولتين ثم مبارك الميلي في ثاني السنتين.	//	من 1935م إلى 1937م ثم من 1937م إلى 1939م
بصائر ما بعد الحرب	أسبوعية		//	25 جويلية 1947م إلى غاية 1956م.

واستنادا إلى ما ثبت من حقائق في المباحث السابقة، يُعتبر ظهور الحركة الإصلاحية الباديسية حدثا معرفيا نوعيا، وجديدا في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، بعد مراحل الاحتلال والركود، كما أنها دعوة إصلاحية ليست معزولة عن أصولها التاريخية الوطنية، والقومية، وإنما هي حلقة وصل بين حركات المقاومة السابقة، والحركة الوطنية التي واكبت نشأتها وتطورها في ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

كما نستنتج أن اهتمام ابن باديس بالفكر الإنساني التحرري وتفاعله مع الأحداث الكبرى في هذه الفترة، كان نتيجة لتجاوبه مع حركة التجديد في المشرق العربي، وتأثره خاصة بالجامعة العربية الاسلامية، واعتزازه بالمقاومات الجزائرية التي وإن لم تستطع طرد المحتل الأجنبي، فلا شك في أنها أثرت في الضمير الشعبي، والوعي السياسي الوطني للجزائريين، واستمد ابن باديس من تجاربها عبراً وقيما ثقافية نضالية مكنته من رسم أبعاد وآفاق في مشروعه النهضوي الإصلاحي.

الفصل الثالث:

الأبعاد الحضارية في فكر ابن باديس الإصلاحي.

1- البعد الديني.

- مبدأ التأصيل.
- الاجتهاد ودوره في البناء الحضاري.
- مجالس التذكير.

2- البعد الاجتماعي الأخلاقي.

- إصلاح الفرد والمجتمع.
- الأخلاق من منظور ابن باديس.
- مجالات التربية الأخلاقية.
- حفظ الحقوق واحترام الحريات.

3- البعد التعليمي.

- التعليم المسجدي ومؤسساته.
- التعليم المدرسي.
- تعليم المرأة.
- الصحافة والنوادي الثقافية.

4- البعد السياسي.

- الوحدة الوطنية.
- القومية العربية والجامعة الإسلامية.
- دور ابن باديس في المؤتمر الإسلامي.

إن الإصلاح عند عبد الحميد بن باديس نعادل للبعث الحضاري الشامل، وأهدافه تصب في تغيير الواقع الجزائري، فتوعية الشعب وانضاجه فكريا، ودينيا، وسياسيا، كانت أولى الأولويات في مشروعه الإصلاحي، وعليه سنركز على الإنجازات المحققة في الواقع، لندرك مدى نجاح الحركة الباديسية في ترجمة الأهداف المسطرة إلى واقع ملموس.

1- البعد الديني:

كانت الجزائر في وضع يهدد كيانها بالذوبان، والفناء، لأن الاستعمار الصليبي عمِل على محو الاسلام، لأنه دين القوة، والدافع إلى الحرية والنجاة، ولكي يدافع الإمام ابن باديس عن حركته الإصلاحية ودعوته إلى الله، اضطر إلى إثبات شرعية القيام بها، واستنباط أحكامها، وأصولها، وأركانها، ومنهجها المبين في الأصلين بياناً تتضح به الحجة ضد المخالفين، والمشككين.

فقد كان لثورة الإصلاح الديني أثر بالغ في "النفوس والعقول، أخرج الجزائر من سباتها الطويل، وما صاحبها من شلل عام للطاقات إلى نور الصحوة الدافعة إلى الانطلاق والحياة"[1]، إذ يقول مخاطبا الشعب الجزائري: "...وحُورِبَ فيكم الاسلام حتى ظن قد طمست أمامكم معالمه، وانتزعت منكم عقائده، ومكارمه، فجئتم بعد قرن ترفعون على التوحيد، وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد، وتدعون إلى الاسلام كما جاء محمد – صلى الله عليه وسلم – لا كما حرفه الجاهلون، وشوهه الدجالون، ورضيه أعداؤه"[2].

فقد دعا ابن باديس أئمة الإصلاح إلى التمسك بأصول الاسلام، وأخذ مبادئه، وحقائقه من مصادره الأولى، بعيدا عن التشويه والتحريف، كما يُقر أن الدين منهج الحياة السعيدة الذي بدون العمل به، والسير على أحكامه لن تجد الإنسانية سعادتها، ونجاتها، ويؤكد ابن باديس ذلك في قوله: "الاسلام عقد اجتماعي عام فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورقيه...ولا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاحٍ عام على مبادئ الاسلام..."[3].

---

[1] - مجالس التذكير، ص: 13.
[2] - "البصائر"، السنة الثانية، العدد83، 25 رجب 1356هـ/2 سبتمبر 1937م، ص:261.
[3] - "الشهاب"، ج03، م12، ص: 163.

وبهذه النظرة الشاملة النافذة، استطاع ابن باديس أن يكتشف عناصر القوة والكمال للأمة الجزائرية، واضعا بذلك منهجه الإصلاحي العام القائم على:

1-1 مبدأ التأصيل:

قامت دعوة ابن باديس على دعامتين أساسيتين: الكتاب والسنة، وكان شعاره في ذلك "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلُح أولها"، وهو العودة إلى "منهج السلف وطريقتهم، لأن ذلك هو العاصم من الزلل والانحراف، وبخاصة في العقائد"[1].

فابن باديس يرى أن كل ما حدث للمسلمين من انحراف وضلال، كان بسبب البعد عن منهج السلف الصالح، وضرورة الاعتماد في الدعوة على مبدأ الجهاد بالقرآن ضد الزائغين عن الحق امتثالا لأمر الله تعالى في قوله لرسوله – صلى الله عليه وسلم-:﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ [2] ، ويبين أن الخلاص، والرجوع إلى الطريق الصحيح، إنما يكون بتطبيق بما جاء به القرآن والسنة النبوية، قال – صلى الله عليه وسلم – ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي))[3]، وحدد ابن باديس خصائص المنهج النبوي فقال: " وكانت دعوته المبنية على الحجة والبرهان، مشتملة على الحجة والبرهان، فكان يستشهد بالعقل، ويعتقد بالعلم، ويستنصر بالوجدان، ويحتج بأيام الله في الأيام الخالية"[4].

فلا حاجة إذا إلى طرقية شركية باطنية، ولا إلى أدلة كلامية معقدة، متضاربة، أو مصطلحات لفظية مضللة، بل يكفي أن يُراعي المصلح الداعي أحوال الحاضر، ونفسية المتلقين فيخاطبهم بما يحبون، ويتجنب ما يكرهون.

---

[1] - ابراهيم التهامي، "الجوانب العقدية في جهود الإمام عبد الحميد بن باديس الإصلاحية"، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ص:07.

[2] - سورة الفرقان، الآية: 52.

[3] - أخرجه مالك في موطئه، في كتاب "القدر"، (باب النهي عن القول بالقدر)، رقم 03، ص:899.

[4] - "الشهاب"، ج01، م11، ص :05.

وقد شغلت قضية إصلاح العقيدة، فكر ابن باديس ونشاطه الإصلاحي، حيث ركز على مقاومة الخرافات والبدع، التي شوهت عقيدة المسلمين، ويرى أن الذين تسببوا في جمود الفكر الاسلامي، إنما هم رجال الطرقية؛ "فكانت سهاما صوبها الاستعمار في صدر شعبنا ليشوهوا بها العقيدة الصحيحة، بما تنشره من بدع وخرافات تُؤثر بها في نفوس العامة والبسطاء، وتُقدم لهم إسلاما زائفا لا ينهض بعزيمة مؤمن، ولا يدعو إلى تربية الإرادة القوية، بل يدعو إلى التواكل والضعف والاستسلام"[1].

ونجد مصلحنا الواعي عبد الحميد يهاجمهم بواسطة تعليم ديني عصري، وذلك بالعودة إلى مبادئ القرآن والسنة، مدركا في "عمقٍ أن العقيدة هي كل شيء في الإنسان فإذا قويت هيمنت على العقل والقلب، وصحت العزيمة، واتضحت الرؤية، وكان التخطيط سليما حكيما"[2]، فلهذا المطلب سعى مصلحنا، ووقف مخاطبا المجتمع الجزائري حتى يُذكره بمكانته وتاريخه العظيم قائلا: "أيها الجزائري التاريخي القديم، المسلم العظيم، كلمته من كلمات الله، وإرادته من إرادة الله، وقوته من قوة الله..."[3].

فنجد ابن باديس في نداءاته يؤكد على الإيمان الصحيح، وذلك بنبذ التقليد الأعمى مبينا أن الحركة الفاعلة، والقوة الدافعة تكون بالعقيدة الصحيحة، وتطهير التوحيد من الشرك، وإظهار ادلته العلمية التي هي العلاج لأمراض المسلمين.

1-2 الاجتهاد ودوره في البناء الحضاري:

إن أساس منهج ابن باديس في إصلاح العقيدة، هو اعتماده على مرجعية النص، وترك ما سوى القرآن والسنة عند تقرير أصول الايمان، والتوفيق بينه وبين العقل، والمزاوجة بين قيم الأصالة والمعاصرة، فقد أدرك بعمق أهمية الاجتهاد في عملية التجديد الحضاري، وأكد أنه الآلية الفعالة التي يتم عن طريقها خوض معركة النهوض بالأمة، والسير نحو محطات التحضر والرقي، وبين أن "هذا الاجتهاد يعتمد على خاصية النقد، والانتقاء، وتقدير المصالح الذي يجب أن

---

[1] - محمد خير الدين، "مذكرات"، ج2، ص:105.
[2] - مجلة الوعي، "الإمام عبد الحميد بن باديس"، العدد01، (رجب/ شعبان 1431هـ/ جويلية 2010م)، ص:14.
[3] - "الشهاب"، ج06، م12، جمادى الثانية 1355هـ/ سبتمبر 1936م، ص:315.

يكون سلاح العلماء والمسلمين اليوم، في تفاعلهم مع الحضارة الغربية، كما كان سلاح الأئمة المجتهدين الكبار في العهود الاسلامية الزاهرة"[1].

فالمفكر المصلح عبد الحميد، يرى أن الشريعة الاسلامية قادرة على مواجهة جميع التحديات الحضارية التي تواجه الأمة الاسلامية، لأن "الاسلام يراعي المصالح الزمنية، ويبني أحكامه على تطوراتها، ويوكل إلى علمائه الراسخين في فقه الكتاب والسنة أن يراعوا الكل وقت أحواله، وأن يُقيموا الموازين على أساس جلب المصلحة، ودرء المفسدة"[2].

إن فقه الإمام ابن باديس للقرآن والسنة، يدل على أنه لم يكن أقل شأنا من أئمة الاجتهاد، واعتقاده الراسخ هو أن للإسلام نظامه الكامل، وفلسفته الاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية، والاقتصادية التي لا نظير لها في الأديان الأخرى، وفي النظم الوضعية.

وتبنى ابن باديس هذا الموقف الانفتاحي على الحضارة المعاصرة، "فدعا إلى مسايرة العصر، والتفاعل مع منجزاته، والاستفادة منها من أجل المحافظة على الهوية الاسلامية المميزة للشخصية الجزائرية، دون الوقوع في دائرة الجمود، والانغلاق على الذات"[3].

وإنما هدف الإمام من هذا الموقف هو الدفاع عن حقائق الوحي الاسلامي بالدليل العقلي، والدفاع في نفس الوقت عن قيمة العقل، ومنطق البرهان في العقيدة، فقد تأثر بعقلانية القدماء والمعاصرين، ولم ينغلق في تصورات تيار فكري معين، وفي تفسيراته لآيات الأكوان ما يثبت أنه مجدد في منهج الاستدلال على التوحيد، والوحي والنبوة مع التمسك بضوابط المنقول والمعقول، في أصول الدين والفقه، فعبد الحميد يدعو إلى الاجتهاد، ويعتبره من المسائل الهامة، التي ترفع من قيمة وكيان هذه الأمة، فهو ينصح قائلا: "إذا أردت الحياة فكن ابن وقتك، تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة، وطرق

[1] - مجلة الموافقات، العدد05، السنة الخامسة 1417هـ/1999م، ص: 143.
[2] - محمد البشير الابراهيمي، "آثار الشيخ محمد البشير الابراهيمي"، ج1، ص:95.
[3] - الموافقات، ص: 141.

المعاشرة، والتعامل، كن عصريا في فكرك، وفي عملك، وفي تجارتك، وفي صناعتك، وفي فلاحتك، وفي تمدنك ورقيك"[1].

وتميز اجتهاد ابن باديس بتدبر ما في القرآن من حكمة، ومن تهذيب أخلاقي وروحي، وتوجيه للعقل إلى المعارف التي تنفع المجتمع، لأنه رأى أن الاجتهاد في الأحكام العملية قليل، والحاجة إليه شديدة، فلا بد من تجديد وظيفة العقل، واحياء الاجتهاد لاستنباط أصول العمران والنظام الاجتماعي، وتبدو جدلية العلاقة بين العقل والنقل في منهجه التفكيري والإصلاحي، في ثنائيات متقابلة محورية، منها: السنة والبدعة، والتقليد والاجتهاد، والنظر والبرهان، والعقل والايمان، والطبيعة والشريعة، والعلم والأخلاق وغيرها مما يهدف إلى اثبات مكانة كل من العقل والشرع، وحجيتهما معا في مجال العقيدة.

1-3 مجالس التذكير:

مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وحديث البشير النذير، هو عنوان دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسير القرآن الكريم، وشرح الحديث النبوي الشريف، وما يتصل بذلك من الآثار السلفية، ألقاها على طلابه بالجامع الأخضر بقسنطينة، فقد اتخذ الإمام هذه الدروس مصدر حياة لجيل الثورة الجزائرية، ومبعث نهضة للإسلام والعروبة، مبينا خلالها الطريقة التي بنى عليها كل آراءه وأعماله في التربية والإصلاح، وموضوعات التفسير عند الإمام غنية غنى فكر صاحبها، وثرية ثراء النص القرآني، وخصوبة معانيه، ومتنوعة بتنوع قضايا الفكر، والعقيدة، والشريعة، وتراكم المشاكل المطروحة في العالم الاسلامي.

ومن المحاور الكبرى لانشغالاته في التفسير، التي تعتبر خطوطا عريضة لمنهجه في الدعوة، والإصلاح، والتذكير، وتعبر عن اتجاهه التجريدي على أساس التوفيق بين السلفية والنهضة.

[1] ـ الابراهيمي، "عيون البصائر"، السنة الثانية، العدد71، يونيو – جوان/ 1937م، ص: 46.

أ- **القسم العلمي**: وفيه تمسك ابن باديس بالطريقة السلفية من جهة، وبالاعتماد في تأويله على منهج أئمة الإصلاح والتجديد، قصد ايجاد حلول لمشاكل المجتمع، وقضاياه المستجدة من جهة أخرى.

- يعد القرآن أفضل الأذكار من طريق الأثر.
- القرآن أفضل الأذكار من طريق النظر، وفيه:

1- القرآن والذكر القلبي: وهنا يستحضر الإنسان الله في قلبه، والتدبر والتفكر في أسماءه وصفاته.

2- القرآن والذكر اللساني: ويتمثل في التهليل والتكبير، والتحميد، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء.

3- القرآن والذكر العملي: فثمرة تلاوة القرآن تحقيق الإنسان، التوبة والاستقامة في كل سلوكاته العملية.

ب- **القسم العملي**: وقد ذكر الإمام ابن باديس في هذا القسم مقدار التلاوة، والمدة التي كان يختم فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم – القرآن الكريم، وكما أن قراءة القرآن هي أفضل أعمال اللسان، وشفاء من كل الأمراض، ومصدر الإلهام لإيجاد الحلول لكل المشكلات القائمة، فإن الرجوع إليه في رأي ابن باديس لازم دائم مادام هناك مسلمون متمسكون بعقيدتهم، وبالاجتهاد في فهم الإعجاز، الذي من نتائجه يمكن تحديد أسباب الفساد والقيام بإصلاحه.

وقد دعا الإمام إلى تدبر معاني القرآن لأنها أفضل أعمال القلب، فهو موعظة تُلين القلوب القاسية، وشفاء للنفوس المريضة في عقائدها، وأخلاقها، وأعمالها، وهو هدى يوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة[1]، فهو في تفسيره للقرآن، وشرحه للحديث النبوي حريص على شد وربط المتعلم بالنص القرآني أو الحديث، "فأقواله في مسائل العقيدة كالقضاء والقدر، والتوسل بالنبي – صلى الله عليه وسلم -، والقراءة على الأموات، وغير ذلك من المسائل التي لها صلة بالجانب العقدي، جاءت سهلة مبسطة، وفي متناول الجميع"[2]

[1] - مجالس التذكير، ص: 09.

[2] - يُنظر، ابراهيم التهامي، "الجوانب العقدية في جهود ابن باديس الإصلاحي"، ص: 10.

خالف الإمام ابن باديس المفسرين المقتصرين على شرح، وتحليل الآليات اللغوية، واتخذ منهج "الإمام محمد عبده نموذجا في التفسير التربوي، والاجتماعي والنقد الديني، وكان معجبا بطريقته في التأويل فاقتدى به في وضع تفسير عصري، يُراعي قضايا المجتمع، ومطالب النهضة، واتخذ الآية والحديث النبوي موضوعا للدرس، ومادة للتفكير والتأمل والاعتبار، وكانت طريقته في تبليغ حقائق الوحي، والإعجاز تعليمية وظيفية بأسلوب تربوي، سهل، ومباشر"[1]، يعتمد فيه على تهيئة ذهن المتلقي، وإعداده للدرس، ومراجعة ما تقدم لربط اللاحق بالسابق، ويتوخى التبسيط والتفهيم لإيصال الحقائق إلى مستويات الإدراك، مع استخدام عمليات الشرح والتحليل، والنقد والاستنتاج، وتقريب المعاني إلى العقول بألفاظ عادية صريحة، وعبارات لغوية فصيحة واضحة.

"ومن المحاور الكبرى لدرس التفسير ما يلي:

- ❖ القضايا المذهبية والمنهجية التي يتوقف عليها تجديد منهج التفسير، وإصلاح العقيدة، وهو المحور الذي يمكن حصر مسائله في مبدأ العودة إلى أصول الاسلام ومصدره، وهو الوحي في الكتاب والسنة.
- ❖ التوحيد، والتنزيه، والوحي، والنبوة، وما يتعلق بقضايا العقيدة والشريعة، وأصول المعرفة والأخلاق، وارتباط ذلك بالدعوة الإصلاحية، وبالاجتهاد في قضايا المجتمع وفق أصول الدين والفقه.
- ❖ بيان السنن الإلهية في آيات خلق الأكوان، والأنفس والعمران، واستنباط أصول النظام الأخلاقي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، وأسباب رقي الأمم وانحطاطها، وأطوارها قوة وضعفا، واثبات أن الاسلام دين علم وقوة، وعزة، وسيادة، وأن نظامه انساني يقوم على تماسك العلاقات البشرية لبناء المدنية على قيم الحق، والعدل، والخير، والجمال.
- ❖ النقد والجدال والمناظرة ولهذا المطلب في تفسيره اتجاهين:

- اتجاه ديني: هدفه التذكير بأدلة الوحدانية التي هي جوهر الاسلام، ومحاربة البدع الشركية المخالفة للسنة، كتوجه مذهبي إصلاحي يستلزم التبليغ والدفاع عن الحق، والإقناع، والإفحام بالدليل، وفي دفاعه قدم معطيات كلامية فقهية أثارت اهتمام الجمهور الجزائري.

[1] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس جهوده في التربية والتعليم"، ص:13.

أما اتجاهه النقدي الثاني، فهو النقد التاريخي الحضاري، والاجتماعي، والسياسي، وتأمل أصول التطور في القرآن، وتصحيح أخطاء المذاهب الكلامية، والرد على من أخضع الاسلام لمفاهيم أجنبية عمَّقت الجمود الفكري، وعقَّدت شؤون الحياة الاسلامية"[1].

وعلى وجه العموم، اهتم ابن باديس كغيره من أئمة التجديد بإصلاح منهج العقيدة، والشريعة، واستنباط مقاصدهما من القرآن، وببيان حكمة الاسلام، وهدايته إلى أصول العلم والأخلاق، ومدى قدرته على مسايرة المدنية والتطور، وهي الحقيقة التي يؤكدها إعجاز القرآن، التي تثبت أن شريعة الاسلام تُمجّد العقل والعلم، وتؤسس عليهما الإيمان تأسيسا لا يعارض التطور، بل يحث عليه.

ج- المراحل التربوية لدرس التفسير:

كان للشيخ عبد الحميد بن باديس في درس التفسير هدفان تربويان: الأول تعليمي لطلابه، والثاني إرشادي عام للجمهور، ولكي يُهيّء الأذهان للدرس، ويثير الاستعداد للاستماع كان في كل مجلس من مجالس التذكير يمهد لموضوع التفسير للخطوات التالية:

ج-1 الاستفتاح: وهو استهلال تعبدي بالبسملة، والحمدلة، والتشهد، وذلك بطريقة شبه مختصرة يعتمد فيها المأثور من الخطب النبوية.

ج-2 تحديد الموضوع (الدرس): فقد خصّص الإمام لنصه أو حديثه أو لأثرٍ سلفيٍ عنوانا محوريا، يطرح من خلاله مشكلة إصلاحية، ليثير اهتمام المتلقي وانتباهه إلى الفكرة التي تعبر بقوة، ووضوح عن المعنى الإجمالي للنص المفسر.

ج-3 وضع النص في إطاره العام، وسياقه التاريخي، أو الشرعي، أو المنطقي حسب مقتضى الموضوع والمضمون، ومعرفة أسباب النزول، ثم يصل على هدفه التربوي من أقصر طريق لغوي من حيث الألفاظ والتعابير "[2].

ومن هذا يتبين لنا أن الإمام لم يتوقف عند أساليب القدماء، بل اجتهد حتى في تقديم أسباب النزول لترغيب المتلقي في الاستماع، والتفكير، حيث أن الشيخ

---

[1]- "تفسير المنار"، م5، ص: 358، وم6، ص: 196.

[2] - يُنظر "الشهاب"، ج4، 5، م14، ص:190 – 192، و"ابن باديس حياته"، ج2، ص: 105 – 106.

الإبراهيمي - والذي يعتبر أقرب العلماء إلى ابن باديس منهجا وتفكيرا- قد حدد منهج مفسرنا وطريقته، بأنه كان "سلفي النزعة، والمادة، عصري التعبير، والمرمى، وتفسيره مستمد من آيات القرآن وأسرارها، أكثر مما هو مستمد من التفاسير وأسفارها"[1].

ولا يُعقل أن يكون صاحب هذه الصفات النادرة تقليدي التكوين، أو مجرد تابع لمدرسة المنار، كما زعم بعض دارسي منهجه، ونستبعد أن يكون الإبراهيمي مبالغا بأسلوبه الأدبي في وصف صاحبه بما ليس أهلا له، وإنما كلامه يزيد الحقيقة وضوحا، ويؤكد قدرات الإمام في التفسير، وأسلوبه في التعليم والإصلاح.

د- استنباط الأحكام والمقاصد:

إن غاية ابن باديس من درس التفسير هي استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية التي جعلها هدفا له في كل نص مُفسَّرٍ، "فاعتمد التفسير بالرأي، والنظر، والاجتهاد في التأويل والقياس، والتعليل، وربط الفروع بالأصول، وفق قواعد علم الأصول، ومسالك العلة في الفقه المالكي، لقد التزم قواعد فقه المذهب كرعاية المصالح، ونبذ الذرائع، ورفض الأحكام المبثورة والمنقطعة عن النص، والضعيفة الدليل والحجة، وكان منهجه الاستنباطي دائما في اتجاه التوفيق مع تطور العلم، وقضايا العصر والمجتمع"[2].

لقد مارس ابن باديس تدبر حكمة القرآن، وسعى إلى تطبيقها طوال حياته العملية، وشهد له الشيخ البشير الإبراهيمي بالقدرة على استحضار المعاني بسرعة وبداهة، ولما سُئل عن الآية التي تصلح عنوانا للقرآن أجاب: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

فانشغاله الدائم هو التذكير بحكمة القرآن، وبيان مقاصده، وأحكامه، والإقناع باتباع منهجه في الدعوة إلى التوحيد، وكان يخاطب العقول، والأرواح

[1] - الإبراهيمي، "مقدمته لمجالس التذكير لابن باديس"، ص: 32 – 33.
[2] - "الشهاب"، ج12، م6، ص: 719.
[3] - سورة ابراهيم، الآية: 52.

للتأثير فيها، ويرشد الأمة للتفكير في القرآن، وإدراك قيمة ما ضيعت"[1]، وبهذه الطريقة جعل الإمام مجالس التذكير مناسبات للاجتهاد في فهم أدلة العقيدة، واستنباط أحكام الشريعة، وأصول الحضارة، وأثبت الشيخ عدم التعارض بين العقل والإيمان، كما أبطل الزّعمَ أن القرآن ضد التطور، وحرية التفكير.

هـ - تحليل الموضوع المحوري للدرس:

كان الشيخ عبد الحميد يحلل الموضوع المحوري للنص المُفَسّر تحت عناوين متنوعة، لقضايا رئيسية، أو فرعية بحسب معاني النص المُحتملة، وإمكانات الاستنباط منه، وقد بلغ عددها في تفسير الآيتين 15 و16 من سورة المائدة، خمسة عشر عنوانا فرعيا في أغراض مختلفة قد تبدو غير مترابطة، ولكنها لا تخرج عن موضوع النص، وما يتضمنه من حكمة، وهداية، وإرشاد إلى الأحكام، والمقاصد، والأعمال، ومن هذه العناوين على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: "إرشاد، توجيه، تعليم، تحقيق، تأصيل، نظر وإيمان، توجيه واستنباط، تنبيه، تمييز، ترغيب، عبرة، مدرك عقيدة، حكم وانبناؤه، استدلال وتوجيه، ترتيب في الاستدلال، دقيقة روحية، لمحة نفسية، إشارة علمية، عجائب الخلقة والحكمة في الآية، الحق فوق كل أحد، طبيعة وشريعة، سلاح الشيطان وأصل الضلال، النعمة المزدوجة، تاريخ وقدوة، استنهاض، سلوك، امتثال، اقتداء، واجب القائد والزعيم، صرامة الجندية، عزّة العلم وسلطانه، تشويق القرآن إلى علوم الأكوان"[2].

وغيرها من العناوين التي تدل على نوعية اهتماماته في التفسير التربوي، والإصلاح الديني، والاجتماعي، ومن أمثلة طريقته التحليلية الاستنباطية لأصول النظام الاجتماعي، والسياسي في القرآن، تفسيره لاثنتي عشرة آية من سورة (النمل) تحت عنوان محوري هو: "ملك النبوة مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة"[3].

---

[1] - الإبراهيمي، "مقدمة لمجالس التذكير"، ص:13.
[2] - يُنظر، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج2، ص: 09، 24.
[3] - المصدر نفسه، ص: 09.

هذه أمثلة لقضايا إصلاحية استلهمها ابن باديس من فقه النّص القرآني، بالإضافة إلى قضايا أخرى لم يتطرق إليها المفسّرون القدماء، وخاصّة في الدعوة الدينية، والإصلاح الاجتماعي، والتأويل العلمي لآيات الأكوان، والعمران.

و- خاتمة دروس التفسير:

ينهي الشيخ عبد الحميد درسه غالبا بخاتمة إرشادية، يحث فيها المسلمين على تفقُّه القرآن والسنة، وتطبيق حكمتها في الحياة اقتداءً بالسّلف، ويستنهضهم إلى أعمال الطاعة التّعبدية، ومنها تحصيل العلوم الدنيوية، وطلب تحصيل السعادتين، كما يدعوهم إلى الإسراع إلى التوبة، والرجوع إلى الله، بعبارات مفعمة بالأمل، وخالية من اللّوم والتجريح المؤدي إلى العداوة، أو إلى اليأس، والقنوط من رحمة الله، بل كان من أهدافه بعث الرجاء في نصر الله، وتجاوز الخلافات المفرقة للصفوف، وهذا هو نهج الدُّعاة الرّاسخين في العلم الدّيني.

2- البعد الاجتماعي الأخلاقي:

يُعتبر ابن باديس مصلحاً اجتماعياً كبيراً، سخَّر قدراته لمحاربة مظاهر التدهور الاجتماعي في الأمّة الاسلامية، وأفنى عمره في تربية الأجيال، وربطها بأصولها الثّقافية، والفكرية، والحضارية حتى لا يمحيها الاستعمار بالتّجنيس والإدماج.

2-1 إصلاح الفرد والمجتمع:

الشيخ عبد الحميد بن باديس من أنصار البدء بإصلاح الفرد لكون المجتمع مجموعة من الأفراد، فمتى صلُحَ الفردُ، صلُحَ المجموع، وهو في هذا ينطلق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

إن الإنسان في نظر ابن باديس قادر على اختيار أفعاله الإرادية، وبالتالي يجب البداية به في كل إصلاح، "وأن الوسيلة إلى تقويم أخلاقه، ولإصلاحها، إنما تكون عن طريق تطهير القلوب، وتهذيب النفوس، وإصلاح العقائد من مظاهر الشرك والبدع والضلالات، وإيقاظ العاطفة الدّينية في نفوس الأفراد حتّى تدفعهم إلى العمل على تغيير ما بأنفسهم ، كي يُغيِّر الله ما بهم من سوءٍ، وانحطاط"[2]، ولا تكفيه نواياه الطيّبة لسعادته، وانتظام حياته، ونجاته من الشرور، بل لابد له من الخضوع للشّرائع والسُّنن الإلهية لاجتناب المفاسد في الأرض، وبما أن الأخلاق هي مناط الرّقي والانحطاط، فأساسها في الاسلام هو جهد النّفسِ، والتوازن بين القوتين: المادية والرّوحية، أي تلبية مطالب الجسد، وتزكية النّفسِ، ويكون عمله الصّالح خيرا لنفسه وللبلاد وللعباد.

أثبت المصلح ابن باديس أن المدخل لإصلاح المجتمع هو إصلاح الإنسان، وهنا يكمن الفرق بينه وبين غيره من دُعاة الإصلاح والتغيير، "فمن الضروري أن توجه الحركة الإصلاحية رسالتها إلى الإصلاح الداخلي أولا، لأن التحرر من نير الاستعمار إنما يبدأ من تحرُّر النفس من ذلّ التَّبعية، والتَّقييد، والانقياد"[3]،

---

[1] - سورة الرعد، الآية: 11.
[2] - تركي رابح، "عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الاسلامي..."، ص: 283.
[3] - حسن سلوادي، "عبد الحميد بن باديس مفسرا"، ص: 158.

فالإنسان الذي يريده ابن باديس، ويجعله محور نشاطه الإصلاحي هو ذلك الإنسان الذي يدرك معنى الحضارة، ومُنطلقاتها، وقيمها المادية والمعنوية، ونظرية ابن باديس التكاملية تمثلت في "بناء الفرد، وذلك بإعداده الإعداد الكامل الذي يشمل الحياة العقلية، والاجتماعية، والأخلاقية..."[1]، وقد وظّف ابن باديس معطيات علم النفس، والتربية الحديثة لفقه بواعث السّلوك الأخلاقي من خلال آيات القرآن، بقصد إرشاد المسلمين إلى تطبيقها في حياتهم، فقارن بين سلوك المؤمن وسلوك الكافر، وحلّل دوافع الخير والشر، ورأى أن للميول والأهواء تأثيرا في الفعل الإرادي، إذا لم يكن صاحبه مدركا أسبابه ونتائجه، فالباعث على الكذب مثلا هو الأنانية وحبُّ الذّات، الذي يجعل مرتكبه عبدا لغرائزه في أقواله وأفعاله.

2-2 الأخلاق من منظور ابن باديس:

إن الأخلاق التي يدعو إليها ابن باديس هي التي تنبني على العقائد، وتخضع لأحكام الشريعة، وأصلحُ الأعمال هو ما يُصلِح الفرد والمجتمع، ويحقِّق العدل والنظام اقتداءً بالرسول الأعظم، الكامل، المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق، واتِّباعا لصحابته المهتدين به في فهم شريعة الاسلام، وتطبيقها في حياتهم وفق مقاصد القرآن في العمران الاجتماعي، والتربية الأخلاقية الحديثة، تتّفق في الغالب مع نهج القرآن الكريم، حيث قسَّمها ابن باديس إلى قسمين:

أ- أخلاق فردية: "هي أن تعمل التربية على اكتساب المتعلمين جميع الكمالات الإنسانية الفردية، مثل: إرادة الخير، والصدق، والعدل، والإخلاص، والرحمة، والصبر، والمثابرة، والثّبات، والشجاعة، والإيثار"[2]، واستنادا إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾[3]،

صنّف ابن باديس سلوك الناس في مذهبين:

- أهل ايمان وحق ورجاء في ثواب الله.

---

[1] - تركي رابح، "عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر"، ص: 249.
[2] - المصدر نفسه، ص: 457.
[3] - سورة الإسراء، الآية: 84.

- وأهل كفر وباطل وقنوط من رحمته، ولكلٍ طريقته في الحياة، وعمل الفرد إنما ينبني على طبعه وخلقه، فالمؤمن الذي تغمره الرّوحانية تليق به الصفات الفضيلة.

ب- الأخلاق الاجتماعية: "فهي أن تعمل التربية على تلبية حاجات المجتمع عن طريق إعداد المتعلمين إعداداً اجتماعياً، يُحبِّبُ إليهم التعاون والتضامن، والتكافل والعدل، والنظام والتقدُّم، ويُعرفهم بحقوقهم وواجباتهم"[1]

وفلسفة ابن باديس في هذا المجال نابعة من القرآن الكريم، حيث مزج بين النظري والتطبيقي، وهو الإيمان بالله تعالى مُضافٌ إليه العمل الصّالح، فالفرد قدوة أو فتنة لغيره بسلوكه، فالفقير يُمتَحنُ بالغِنىَ فتعلو درجته بإظهار صبره، وتنحطُّ إذا افتُتِن به، وكلٌّ من الراعي والرعية فتنة للآخر، وامتحان لإظهار الصّبر على الطّاعة، وأداء الواجب بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[2]، وهكذا يتبيَّن لنا فقه دوافع السلوك في القرآن والسنة لا تنطبق على الأفراد فحسب، بل أيضا على المجتمعات والأمم، ونستنتج كذلك أن فساد الأخلاق في المجتمعات الاسلامية، هو العامل الرّئيس المتسبب في كل مشاكلها، الاجتماعية والسياسية وغيرها، ولتدارك الأوضاع وإصلاح الخلل حتى يستقيم الفرد والمجتمع، يجب الرُّجوع إلى العقيدة الصحيحة، والوقوف عند حدود الشّرع، إذ بدون هذا التجذير والتأصيل لحركية الفرد والمجتمع، تفقد المعاصرة قاعدتها الضرورية، وهي انهاض المجتمع، وتحريره، وترقيته مع المحافظة على أصالته، ومقومات شخصيته التاريخية.

2-3 مجالات التربية الأخلاقية:

تُعتبر التربية الدينية والخلقية أهم المحاور، والأهداف في برنامج ابن باديس الإصلاحي، فالأخلاق في مذهبه مرتبطة بالعقيدة، والتغيير الفكري الرّوحي هو أساس التغيير المادي.

---

[1] - تركي رابح، "عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر"، ص: 475.
[2] - سورة الفرقان، الآية : 20.

أ- الأسرة:

هي المنبع الأول الذي يأخذ منه الطفل أخلاقه وسلوكه، "وهي المكان الطبيعي لتربية الأطفال، وتزيدهم بالعوامل النفسية، والثقافية اللازمة لنموهم، وتقدُّمِهم، وحمايتهم"[1]، وبهذا أكّد ابن باديس على ضرورة العناية بالأسرة، وذلك بتعليمها، وتربيتها، وتهذيبها، فبارتقائها ترقى الأمَّة كلها، يقول في ذلك: "على المرء أن يبدأ في الإرشاد، والهداية بأقرب الناس إليه، ثم من بعدهم على التدريج، وعندما يقوم كل واحد منا بإرشاد أهله، وأقرب الناس إليه، لا نلبث أن نرى الخير قد انتشر في المجتمع، فمن الأُسَر تتركّب الأّمة"[2]، ويقول أيضاً: "البيت هو المدرسة الأولى، والمصنع الأصلي لتكوين الرِّجال، وتديّن الأم هو أساس حفظ الدين، والحلق والضعف الذي نجده من ناحيتهما في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الاسلامية في البيوت، بسبب جهل الأمهات، وقلّة التدين"[3].

إذا ابن باديس يحرص على العناية بالأسرة، لأنها إذا صلُحت صلُح المجتمع كلّه، وإذا فسُدت فسُدَ المجتمع كله، وهي الخلية الاجتماعية الأساسية، فلا بقاء للمجتمع إلا بحفظ كيانها، وذلك بحماية النّسل، وانتظام الروابط الزّوجية، وقيام كل عضو فيها بوظيفته، "وقد خصَّ الله تعالى بالوظيفة التربوية، وأعانها على القيام بها، بما زوَّدها من الرَّحمة والحنان، وقوة العاطفة، ولا يمكن أن تؤدي دورها بإتقان إلا إذا أُعدت لذلك إعداداً مناسباً، فيتعيَّن على الأمة إذاً أن تعلّمها، وترقيها لتنهض بالقسم الداخلي، ويتفرغ الرجل للقسم الخارجي، فتنتظم الحياة"[4].

إذاً لا تنتظم الحياة الفردية والاجتماعية، إلاّ بانتظام حياة الأسرة، وقيام كل من الزوجين بوظيفته، ومخالفة هذه الحكمة في نظر الشيخ عبد الحميد، تؤدي إلى الإخلال بالمسؤولية، ومن تمَّ إلى اختلال التوازن بين الحقوق والواجبات.

---

[1] - تركي رابح، "عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر"، ص: 461.
[2] - "تفسير ابن باديس"، ص: 376.
[3] - "الشهاب"، ج8، م12، ص: 449.
[4] - يُنظر "الشهاب"، ج6، م11، ص: 348.

ب- المدرسة:

تُعتبر المدرسة أعظم قوة خُلقية في المجتمع بعد الأسرة، وكان ابن باديس يعتني بتكوين الشباب عناية كبيرة، ويرى "أن مستقبل الأمة سيكون صورة واضحة من تكوين شبابها، فإذا تسلّح هذا الشباب بالثقافة الصحيحة، والأخلاق القويمة، والوطنية الصادقة، فإن هذا المستقبل سيكون مشرفا وزاهراً"[1]، ورأى ابن باديس أن تقديم التربية الأخلاقية في المدارس يكون عبر طريقين:

- مباشرة: وهي تخصيص حصص للوعظ والإرشاد، والحث على الفضائل الاسلامية، واعتماد مجموعة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية لاستنباط الأحكام عن المواقف، والتصرفات السلوكية.

- غير مباشرة: وهي أن يعتمد على غرس الأخلاق الفاضلة أثناء تدريس المواد الدراسية المختلفة، ولا بد من الجمع بين الطريقتين كما جاء في تعاليم القرآن الكريم، والسنة المطهّرة، ويُوضّح ابن باديس قائلا: "كما تحتاج الأبدان إلى غذاء من المطعوم والمشروب، كذلك تحتاج العقول إلى غذاء من الأدب الرَّاقي، والعلم الصحيح، ولا يستقيم سلوك الأمة ، وتنقطع الرذيلة من طبقاتها، وتنتشر الفضيلة بينهم، إلاّ إذا تغذت عقول أبنائها بهذا الغذاء النَّفيس"[2].

وهكذا استطاع ابن باديس أن يجعل من المدرسة مركز إشعاع في المجتمع، تُؤثر فيه، ويؤثر فيها، وبين صفوفها تُكتسبُ الأخلاق، وتُبنى العقليات بطريقة صحيحة.

ج- المجتمع:

والمجال الثالث للتربية الأخلاقية هو المجتمع، والمجتمع بكل هيئاته، ومنظماته، لذلك يجب إصلاح المجتمع من مظاهر الاعوجاج، والانحراف حتى لا يكون عاملا معوقا للتربية الأخلاقية المنشودة للشباب في جميع مستوياته.

وقد انطلق ابن باديس في تصوره لإصلاح المجتمع من تشخيص حالته، إذ يرى أنه "مريض وأنه في حاجة ماسّة إلى علاجه علاجا ناجعا من الأدواء التي

[1] - عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، ص: 127.
[2] - جريدة المنتقد"، العدد الأول، 02 جويلية 1935، ص: 10.

يعانيها، كما يرى أن علاجه لا يكون إلاّ بالرجوع إلى القرآن، فالقرآن هو العلاج الوحيد الذي يُنقذه مما يتخبّط فيه من محنٍ، وانحرافات خلقية، ونفسية"[1].

ولإصلاح الأوضاع لم يته ابن باديس في دروب التنظير أو افتراض حلول خيالية، بل شخَّص المشاكل، وعيَّن لها حلولها العملية من الشريعة، وسعى إلى غرس الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، التي تحتاج إلى عمل دؤوب، تتضاعف غيه جهود أفراد الشعب في جميع الميادين حتى تتقوَّى عزائمهم، وينضج تفكيرهم، وتتوحّد صفوفهم وآمالهم، ويقول في ذلك: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله، إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة، تفكر، وتدبر، وتتشاور، وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة، ودفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة"[2].

فالمؤمنون كأفراد ضعفاء يمكن قهرهم، ولكن إذا تراصوا، واتحدوا، تكون لهم في حياتهم قوة زائدة، تُؤمِّنهم من أي قهر، ولا يتحقق اتحادهم إلاّ بترك الخلافات المذهبية، والنظر فقط إلى الإيمان الذي هو الأصل الجامع، والمشترك بينهم، وهذه القاعدة كما يجب اتخاذها عقيدة، يجب تطبيقها سلوكا في جميع نواحي الحياة الفردية والاجتماعية، قال ابن باديس: "علينا أن نعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجبٌ أكيد محتّم علينا من جميع المؤمنين، وأن فيه قوتنا، وحياتنا، وفي تركه ضعفنا وموتنا"[3].

إن عبد الحميد بن باديس يُطالب بالاتحاد، الذي المقصود منه التمسك بالحق، والخير، والتعاون على العدل والإحسان، وقد حذّر من الروح القبلية والعصبية المخالفة للدّين التي تؤدي إلى التفرقة، وإثارة الفتن، فقال: "كل من سعى تحصيل شيء مستعينا بذي عصبية له لنسبة جنس، أو قبيلة، أو بلد، أو حرفة، أو فكرة غير ناظرٍ إلى أنه على حقٍّ أو على باطلٍ، فقد دعا دعوى الجاهلية، وكل من أجابه فقد شاركه في دعواه"[4].

---

[1] - تركي رابح، "عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الاسلامي.."، ص: 216.
[2] - "تفسير ابن باديس"، ص: 428، 429.
[3] - "الشهاب"، ج7، م7: 131.
[4] - "الشهاب"، ج2، م13، ص: 80.

فالشرع يُحرِّم التعصب الذي يمزّق الروابط الخاصة والعامة، ويُؤثر في السلوك الأخلاقي، والاجتماعي، وهذا كان ينطبق في زمن ابن باديس على المؤيدين للمستعمر، وظلمه، واستبداده.

فبهذه النظرة إلى القيم الأخلاقية في تنظيم العلاقات الاجتماعية، أطلق الشيخ عبد الحميد لفظ الأمة على الشعب الجزائري، المتميز عن الجماعة الأوربية المستوطنة بروابطه الروحية، المستمدة من تعاليم الشريعة الاسلامية، وقاوم محاولات السلطة الاستعمارية لتمزيق وحدته، والقضاء على مقوماته التاريخية، وهو القائل: "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان"[1]، والشيطان المقصود هنا هو المستعمر وآلاته، ولابن باديس مقالات كثيرة متنوعة عالج فيها قضايا المجتمع الجزائري، ومشاكله الاجتماعية، داعياً إلى جمع الصفوف، والحثّ على إحياء الفضائل الاسلامية كالتآخي، والتعاون على الخير، والمشاريع التي تنفع البلاد والعباد.

2-4 حفظ الحقوق واحترام الحريات:

إن من نعم الله على الإنسان تكريمه بجوهره الروحاني، والعقل الذي به يسمو إلى الكمال، لأنه في الأصل نُفِخ فيه من روح الله، ولذلك يجب احترام هذه النفس وحفظها، وإنما يكون ذلك بحفظ النسل، وحماية الأعراض، وعدم العدوان على الحقوق.

"وأول حقوق الإنسان في الاسلام التي استخلصها ابن باديس من حكمة الشريعة، هو حقه في الحياة، الذي يستلزم حريته الطّبيعية والمكتسبة، إذ لا قيمة لحياته إلا بمقدار ما يتمتع به من حرية، والاعتداء على هذه الحرية هو حرمانٌ له من حقه في الحياة"[2].

وقد جاء النّهي عن قتل النفس بغير حق صريحا في القرآن الكريم، لأن الله هو خالق الجميع ورازقهم، فقد حرَّم الظلم، العدوان على الحقوق، وشرَّع القصاص لتحقيق العدل، ولحفظ الحقوق وحماية المجتمع، حرَّم الزنا، والإجهاض الذي يقطع النّسل، فهذه الرذائل في نظر ابن باديس طريق إلى هلاك الأبدان،

[1] - "الشهاب"، ج11، م11، ص: 605.
[2] - المصدر نفسه، ج10، م11، ص: 545.

وفساد النظام، وانتهاك الأعراض، وخراب البيوت، وانقراض المجتمع لذلك احترم الاسلام النفس، والحق في الحياة وسلامة الأنساب"[1].

وقد اعتبر ابن باديس حرية العقيدة أساس الحريات كلها، فهي تقتضي تحرير النفس، والفكر، والضمير، وتحرير البدن وقوة الإرادة لإنجاز الأعمال الدنيوية والأخروية، فالتوحيد مثلا تحرر من الشك والظن، والصوم تحرر من الشّهوة، وترويض لقوة الإرادة، وتلاوة القرآن وتدبره يحرران العقل من الجهالات، إذا فحرية الاعتقاد تنطوي تحتها حرية التفكير وهما شرطان للتحرر الاجتماعي، قال ابن باديس: "وإذا تحررت أرواحنا وعقولنا، فقد حرّرنا كل شيء"[2].

لقد اهتم ابن باديس ببيان معاني الحرية في الشريعة، وبيَّن بأنها تُضبط بأحكام وقواعد أخلاقية لتحقيق السلام على أساس الأخوة، والعدل، والنظام، والتسامح بين البشر، خلافا لما قامت عليه أديان ومذاهب أخرى من ظلم، وتحقير للغير. إن عدم الوفاء بالحقوق والعهود جريمة كبرى في نظر الشيخ عبد الحميد، ومصدر للآفات الاجتماعية، كالربا، والمضاربة، والغدر، والتطفيف في الكيل والميزان، والاحتكار والاستغلال"[3].

وبهذا يُثبت ابن باديس أن القوة المادية التي لم تضبطها الأخلاق، لا تحقق العدل، وإرادة الخير تكون منعدمة، وهذا دليل على أهمية الدوافع الخيرية، والضوابط الخلقية في تنظيم العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وهذه هي القيم الروحية الاسلامية التي دافع عنها ابن باديس مُقابل القيم المادية الاستعمارية.

---

[1] - "الشهاب"، ج06 و07، م06، ص: 334، 404، 405.
[2] - "الشهاب"، ج10، م11، ص: 548.
[3] - "مجالس التذكير"، ص: 127، 143.

3- البعد التَّعليمي:

رأى العلامة عبد الحميد بن باديس أن الطريقة الأنجع للوقوف في وجه هذه السّياسة الاستعمارية، هو تسليح المواطنين بالعلم، والمعرفة، وتنوير عقولهم، وإزالة غشاوة الجهل والغفلة عن أبصارهم، ويجدر بنا التساؤل في مستهل هذا الحديث عن دور المعرفة بوجه عام في عملية البناء الحضاري؟

لقد أسهم ابن باديس منذ عودته من تونس سنة 1913م، في تأسيس وتنشيط، وإنشاء عدد هام من الهياكل التربوية والثقافية، فقد وجدت في الجزائر آنذاك ينبوعا فيَّاضاً من ينابيع العلم، والإيمان، لأنه كان يُترجم علمه وإيمانه إلى لغة الجهاد والعمل.

3-1 التعليم المسجدي ومؤسساته:

أولى المصلح ابن باديس اهتماما بالغا إلى المسجد، وركَّز على إعطائه وظيفتين ومتوازيتين: وظيفة العبادة، ووظيفة التعليم التي أحدثها عقِب عودته من تونس، فبمجرد تأسيس "أوّل مدرسة حرّة عام 1932م، اتَّخذ منها مكانا للصّلاة وتعليم القرآن...ونتيجة لمنع سلطات الاحتلال رجال الجمعية في عام 1933م من إلقاء دروس الوعظ، والإرشاد في المساجد الرّسمية، وفرض رقابة على تحركاتهم، أخذت أهمية المسجد تزداد"[1].

إن التعليم المسجدي هو الميدان الاستراتيجي، الذي عمِل ابن باديس على إحيائه من جديد، حيث جعله أداة فاعلة في السعي إلى أهداف بعيدة المدى، فأُنشئت "بضعة وتسعين مسجدا في سنة واحدة في أمهات المدن والقرى"[2]، وقد بيّن الشيخ عبد الحميد أهمية المسجد قائلا: "إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم، فإن العامة التي ترتاد المساجد تكون من العلم على حظ وافر، وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر، صحيحة العقيدة، وبصيرة بالدّين، فتكمن هي في نفوسها ولا تُهمل، وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته، تُعلّم أبناءها، وهكذا يُنشر العلم في الأمة

[1] - جاكسر لحسن، "نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في معسكر 1931م – 1956م"، دار الغرب للنشر والتوزيع –وهران- ، ص: 125.
[2] - أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، ص: 208.

ويكثر طُلاّبه من أبنائها"[1]، فالأمة الجزائرية في حاجة ماسّة إلى مثل هذا التعليم، الذي يشعُّ في أروقتها أنواراً، فتضيء به الدروب، وتنكشف الأهداف، وما وصل إليه المسلمون اليوم، من ضعف، وانحطاطٍ إلاّ من بعد أن هجروا هذا اللّون من التعليم، وخلت منه مساجده.

إذا كيف استطاع ابن باديس أن يُعمِّم هذا التعليم في مساجد الجزائر؟، وما هي المرامي التي حقّقها من وراء ذلك؟

رأى ابن باديس أن المسلمين لن يستعيدوا ما كان لهم من سالف عزٍّ، وتالد مجدٍ إلاَّ إذا رجعوا إلى مساجدهم، وجمعوا بين العلم والعبادة، حيث يقول: "ولا بد لهذا كلّه من التَّعليم الدّيني الذي محلُّه المساجد، وبدونه لا سبيل إلى شيء من هذا كلّه، فصارت حاجة المسلمين إليه حاجتهم إلى الاسلام، وصار إعراضهم عنه هو إعراض عن الاسلام وهجره"[2].

"وكان ابن باديس – إيمانا منه بمنزلة المسجد هذه – ما من بلدة يحلُّ بها أثناء أسفاره، ورحلاته العديدة عبر أرجاء الوطن، إلاّ ويكون الجامع في أغلب الأحيان أوّل مكان ينزل به، فيفتتحُ به زيارته للمنطقة أُسوة بالسّنة النبوية الشّريفة، وتنبيها في الوقت ذاته لتلك المكانة في حياة المجتمع"[3].

فمكانة المسجد التي يقصدها ابن باديس، أن منه أشرقت شمس الاسلام على العالم، ومنه انطلقت الفتوحات الاسلامية، تُحرّر العباد من ظلم العباد، ومن المسجد شعَّ نور الحكمة الإلهية، فأضاء منهاج البحث أمام المفكرين المسلمين، ومن المسجد انطلقت في الجزائر بوادر النهضة الحديثة، ومن الجامع الأخضر بقسنطينة انبعثت شرارة الحركة الوطنية الحضارية.

---

[1] - "ابن باديس حياته وآثاره"، ج3، ص: 172.

[2] - "ابن باديس حياته وآثاره"، ج03، ص:226.

[3] - محمد بن سمينة، "أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، المضمون وصورة التعبير"، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى – الجزائر – (د،ط)، (د.ت)، ج1، ص: 220.

3-1-1 مؤسسات التعليم المسجدي:

أ- الجامع الكبير*: "وهي المؤسسة الرئيسية لهذا التعليم الذي انطلق فيه نشاط ابن باديس التربوي، منذ بداية عام 1913م...فقد جعل من هذا الجامع معهدا يتلقّى فيه الطّلبة المتفرّغون للعلم دروسهم اليومية صباحا ومساء"[1].

فقد كان هذا الجامع ملتقى عامة المواطنين، رجالا ونساء، يتلقون فيه دروس الوعظ، والإرشاد، والتّثقيف.

ب- الجامع الأخضر*: يُعتبر المركز الأول الذي انطلق منه التعليم الإصلاحي المسجدي في الجزائر، "وقد ثابر ابن باديس على نشاطه التعليمي فيه، من عام 1913م، وحتى وفاته عام 1940م"[2]، وقد ضمَّ هذا الجامع طلبة من مختلف العمالات، قسنطينة، والجزائر، ووهران.

كان التدريس في الجامع الأخضر، يمرُّ في أربع مراحل، أما المواد التي كانت تُدرّسُ فيه هي:

- تفسير القرآن وتجويده.
- شرح الحديث النبوي الشريف (من الموطأ).
- الفقه المالكي.
- الآداب والأخلاق الاسلامية، واللغة العربية بفنونها (نحو، وصرف، وبلاغة، ولغة وأدب).
- الفنون العقلية كالمنطق، والحساب، بالإضافة إلى الفرائض، والتاريخ والجغرافيا"[3]

---

* أقدم المساجد في مدينة قسنطينة، يوجد في بطحاء الستويقة أمام شارع العربي بن مهيدي.

[1] - عبد القادر فضيل، ومحمد الصالح رمضان، "إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس"، ص: 226.

* أسسه الباي حسين عام 1741م، يقع بالمدينة القديمة بقسنطينة.

[2] - أحمد الخطيب، "جمعية العلماء"، ص: 208.

[3] - يُنظر "السراط السوي"، العدد04، السنة الأولى، أكتوبر 1933م، ص: 10.

أما الكتب التي كانت معتمدة فهي: الموطأ، أقرب المسالك، الرسالة، المفتاح، الأجرومية، اللاّمية، الجوهر المكنون، من ديوان الحماسة، من ديوان المتنبي، مقدمة ابن خلدون...

وتولّى التدريس في هذا المسجد، الشيخ عبد الحميد بن باديس، وعبد الحميد بن الحيرش، وحمزة بوكوشة، بالإضافة إلى بعض كبار الطّلبة"[1]، كما توزّعت مساجد أخرى في مختلف مناطق الوطن، كان يتعلّم فيها عدد كبير من الطّلبة الكبار على الطّريقة، والأسلوب المعروفين في الجوامع الاسلامية الكبرى، كالأزهر، والزّيتونة، والقرويين.

وهكذا جاهد ابن باديس في هذا المضمار جهاداً كبيراً، امتدّ طوال حياته، فكان مدافعا عن الاسلام واللغة العربية، مُلحّاً في الوقت ذاته على فتح أبواب المساجد في وجه الدُّعاة والمعلّمين، فسجّل الإمام ورفقاؤه في هذا الميدان العملي، مواقف مشرّفة باتت رائدة النهضة، وخادمة العلم، وحامية الدّين في الجزائر.

2-3 التّعليم المدرسي:

أدرك ابن باديس أن للعلم مكانة بالغة الأهمية في النُّهوض بالأمة، وبعثها إلى مصاف الحضارة الحقيقية، وتَفطَّن الشيخ بدور التعليم، واتّخذه وسيلة فعّالة في تحقيق أهدافه الرَّامية إلى الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية.

"فكانت المدارس التي أنشأها ابن باديس، وزملاؤه، وتلامذته، قد بلغ عددها حتى عام 1954م مائة وخمسين مدرسة، يتعلّم فيها أكثر من خمسين ألف من البنين والبنات، يدرسون فيها مبادئ اللغة العربية وآدابها، وأصول الدّين الاسلامي، والتاريخ الجزائري والاسلامي، طبقا لبرنامج يجمع بين ضرورات العلم، وبين إيجابيات التربية الاسلامية، والقومية، والوطنية الصحيحة"[2]، وكانت أول مؤسسة تربوية "ظهرت بمدينة قسنطينة سنة 1930م، وأكبر هيئة تهذيبية علمية عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث، هي جمعية العلماء المسلمين

[1] - يُنظر أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين"، ص: 208 – 209.
[2] - عبد الكريم بو صفصاف، "الفكر العربي الحديث والمعاصر"، ص: 385.

الجزائريين، التي تُعدُّ رسالة التربية والتعليم من أوّل ما كانت تُعنى به في إطار مشروعها التحرري الحضاري..."[1].

وقد عرفت مدارس الجمعية ثورة إصلاحية، مسَّت طُرق التّدريس، وكذا البرامج الدراسية تماشيا مع تصورات وتوجيهات ابن باديس، فقد طبّق المعلّمون طريقة سهلة، وحديثة في تعليم اللغة العربية بتقديم أبسط القواعد في أسهل التّراكيب، ثمّ الإكثار من التمارين العملية كي تُرسّخ القواعد في أذهان التلاميذ، واهتموا بالمعنى، وابتعدوا عن زُخرُف اللفظ، واجتهدوا في تربية ملكة الذّوق، كما عمِلوا على تطهير اللغة العربية من الكلمات الدّخيلة.

وكان من ثمار هذه الطريقة في التّعليم استقام الألسنة، وظهور الكثير من الخطباء الذين كانوا يعالجون مختلف مشاكل المجتمع الجزائري في خُطبهم، لذلك ركّز ابن باديس على إصلاح التعليم بوصفه مدخلا أساسيا لإصلاح المجتمع، "لن يصلُح المسلمون إلاّ إذا صلُح علماؤهم لأنهم بمثابة القلب للأمة، ولن يصلُح العلماء إلاّ إذا صلُح تعليمهم"[2]

وقد أحدثت المدرسة الباديسية ثورة في أساليب التعليم التّقليدية، لأن ابن باديس كان يعيش عصره بمفهومه الواسع، ويتحسّسُ مواطن الخلل، ويبدي رأيه بكل جرأة، ومقصده من كل ذلك تحقيق المصلحة القريبة والبعيدة لدينه وأمته.

❖ **نشر اللغة العربية:**

كوّن ابن باديس مع جماعة من المصلحين المدارس الابتدائية، تتّسع لأكبر عدد ممكن من الأطفال الرّاغبين في الدراسة العربية، وعلومها، لأنها وسيلة للتفكير، وهي الوعاء الذي تُقدَّم فيه باقي المواد الدراسية، فإصلاحها وتطويرها ينعكس حتما على باقي المواد الأخرى، فضلا عن وظيفتها في ربط النّشء بتاريخه، ودينه، ووطنه، يقول ابن باديس: "إنها وحدها الرّابطة بيننا، وبين ماضينا، وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا، وبها نقيس من يأتي بعدنا من أبناءنا، وأحفادنا...وهي وحدها اللّسان الذي نعتزُّ به، وهي التُّرجمان عمّا في القلب من عقائد، وما في العقل من أفكار، وما في النفس من

[1] - محمد بن سمينة، "أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس"، ج1، ص: 168.
[2] - عمار الطالبي، "حياته وآثاره"، ج1، ص: 101.

آلام وآمالٍ"[1]، وتأكّد ابن باديس من حقيقة إصراره على تعليم العربية، وتشويق الطلبة إلى تذوّق آدابها، لأنها هي اللغة المهملة بين أبناءها، والمطاردة في عقر دارها، فتنوعت، وتوزّعت المدارس العربية عبر التراب الوطني بشكل منتظم، وكان القصد من توحيد طرازها المعماري، هو تكوين جيل متّحد في الذوق، والأفكار، والاتجاه، وعلى غرار هذه المدارس نذكر:

- مدرسة دار الحديث بتلمسان: واختصّت بالبنين، وبلغ عدد تلاميذها ألفين، وتسمية المدرسة بدار الحديث تعبير عن مبادئ الحركة، التي يدعو إليها ابن باديس وجماعته، وهي الرجوع إلى السلفية النَّقية"[2].

- مدرسة عائشة أم المؤمنين: وخصّصت بالبنات، واستطاعت أن تكوّن هذه المدرسة جيلا جديدا من النساء يحملن لواء العلم، ويعملن على نشر الأفكار الصحيحة، ورسم أهداف تستطيع المدرسة العمل بها والتحرُّك في إطارها.

3-2-1 أهداف التعليم المدرسي:

استطاع ابن باديس أن يعيد للأمة عافيتها من ذلك الذي أصابها، وتهتدي إلى طريق الحق، وتبلغ أسمى مقاصدها، ومن الأهداف الرئيسية في التعليم المدرسي:

- نشر الأخلاق الفاضلة: وكان هو الهدف الأساسي في دعوة ابن باديس الإصلاحية، حيث جعل المدارس تتضمن من الدرجة الأولى تربية الأبناء، والبنات تربية عربية اسلامية صحيحة.
- تكوين وبناء شخصية المتعلمين.
- الممارسة التطبيقية: سعى ابن باديس إلى اكتساب المتعلّمين خبرة بالحياة، وتأهيلهم لممارسة بعض الأنشطة الحياتية النّافعة، ومعنى هذا كلّه أن ابن باديس يهدف إلى بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة، أي هي ما اكتملت فيها جوانبها المختلفة، الجانب الأخلاقي، والعملي، والعقلي، والعضوي، وفي هذا

[1] - "آثار ابن باديس"، ج4، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث – قسنطينة – ط1، 1991م، ص: 147.
[2] - يُنظر "الفكر العربي الحديث والمعاصر"، ص: 387.

الصدد يقول: "إن الكمال الإنساني متوقّفٌ على قوة العلم، وقوة الإرادة، وقوة العمل، فهي أسس الخلق الكريم، والسلوك الحميد"[1].

وهنا أراد ابن باديس أن يُبيِّن أنّ حياة الإنسان مبنية على أركان ثلاث: الإرادة، والفكر، والعمل، وجعل شرط النهضة إنما هو إيجاد الجماعة القائدة المفكرة، التي تقود المجتمع إلى الحضارة.

3-3 تعليم المرأة:

لقد بلغ اهتمام ابن باديس بالواقع التعليمي للمجتمع الجزائري، إلى فتح مجال لتعليم الفتاة الجزائرية، منذ صغرها، لأن تعليم المرأة يرتبط بالواقع السياسي للشعب الجزائري من زاويتين:

- الأولى: وهي اعتبار المرأة زوجة، وقرينة للشاب المثقّف الجزائري حتى لا يقترن بالمرأة الأجنبية، ويعزف عن الجزائرية بحجة أنها جاهلة.

- والثانية: اعتبار المرأة الجزائرية مربية الأجيال، والحرس الأول على قيمها الدينية، والخلقية، والقومية"[2].

ولذلك أوجب ابن باديس "تعليمها، وإنقاذها مما هي فيه من الجهالة العمياء، ونصح بتكوينها تكوينا يقوم على أساس العفّة، وحسن تدبير المنزل، والنّفقة، والشّفقة على الأولاد، وحُسن تربيتهم"[3].

و"عندما أنشأ ابن باديس جمعية التربية والتعليم، جعل من اهتمام مكتبها التعليمي، تعليم البنات مجّاناً، وذلك بهدف إعداد المرأة الجزائرية للقيام بدورها الرّسالي في الأزمة الجزائرية"[4].

واستدلّ ابن باديس على وجوب تعليم المرأة من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، ولتحقيق هذه الغاية السامية خصّص دروسا للنساء في المسجد الأخضر،

---

[1] - "الشهاب"، ج6، م12، ص: 346.
[2] - بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص: 365.
[3] - "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، ص: 118.
[4] - مازن مطبقاني، "عبد الحميد بن باديس العالم الربّاني، والزعيم السياسي"، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، المحمدية –الجزائر- ط1، السنة 2005م، ص: 62.

وغيره من مساجد قسنطينة، وقد كنّ يحضرن بأعداد كبيرة لم تسعها المساحة المخصّصة لهن في المسجد، وقد عزم الشيخ على إرسال مجموعة من الطّالبات اللاتي أتممن دراستهن في مدرسة جمعية التربية والتعليم بقسنطينة، إلى مدرسة جمعية دوحة الأدب السّورية، حيث راسل في ذلك رئيسة هذه الجمعية، وفيما يلي نص الرسالة:

"يسرّني يا سيّدتي أن تعرفي أن بالجزائر نهضة أدبية تهذيبية، تستمدّ حياتها من العروبة والإسلام، غايتها رفع مستوى الشعب العقلي والأخلاقي، ومن مؤسّسات هذه النهضة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة. ولما علِمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها مجلة "الرابطة العربية"، رغبت أن تُرسل بعض البنات ليتعلّمن في مدرسة الجمعية، فهي ترغب في حضرتكم أن تعرّفوها بالسبيل إلى ذلك"[1].

وهكذا لم ينس عبد الحميد بن باديس المرأة المسلمة عامة، والجزائرية خاصة، ورأى بأن تعليمها يؤدّي إلى الانسجام العائلي، فتستطيع أن تقوم بدوها على أكمل وجه سواء على مستوى الأسرة، أم على مستوى مجالات مختلفة في المجتمع، لأنها تُعتبر نصف المجتمع بل وكلّه، لأنها هي التي تلد النصف الآخر.

3-4 الصحافة:

أدرك ابن باديس بأن حركته التربوية التّعليمية، لن يُكتب لها النّجاح إلاّ إذا اتصلت بالشعب، وأن الطريقة الأمثل للخروج بالدّعوة من منطقة قسنطينة وتعميمها في كل القطر الجزائري، هي الصحافة، لأنه يعتبر "الإعلام قوة لا غنى عنها، ولا رُقيّ لأمة ناهضة في هذا العصر بدونها"[2]، فقد عمِل على رعاية الصّحافة العربية الإسلامية الحديثة، وأرسى دعائمها على أسس متينة من الإيمان، بالرّغم من "الاضطهاد العنيف الذي كانت تتعرّض له الصّحافة العربية من طرف الإدارة الاستعمارية في الجزائر"[3].

---

[1] - مازن مطبقاني، "عبد الحميد بن باديس العالم الربّاني، والزعيم السياسي"، ص: 64.
[2] - بن خليف مالك، "الفكر الساسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص: 328.
[3] - تركي رابح، "الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم"، ص: 186.

واستطاع ابن باديس أن يجد ضالته في الصّحافة باعتبارها "وسيلة لمحاربة الأوضاع الفاسدة، والتصدي لانتقاد سلوك الإدارة الفرنسية، وجمود بعض المشايخ، وتنبيه الناس إلى ما أحدثه شيوخ الطّرقية من بدع وضلالات لا تنتمي إلى الدين أو إلى المجتمع"[1].

وكان الدافع من دخول ابن باديس عالم الصّحافة، الرّغبة في إيصال أفكاره الإصلاحية إلى أكبر عدد ممكن من النّاس، كما أنه أُعجب بأفكار صُحف عربية أخرى **كالمنار** للإمام رشيد رضا، ومجلة **الفتح** لمحمد الدين الخطيب، وكذا جريدة **اللّواء**، وغيرها، وكذلك كان مُطّلعا على بعض الجرائد الفرنسية، فأدرك بعمق الدّور الفعّال الذي تمارسه الصّحافة في توعية الشعب، والتّأثير على مسار الأحداث، وأوّل جريدة دخل بها ابن باديس عالم الصّحافة:

- **جريدة المنتقد 10 ذي الحجة 1343هـ/ 02 جويلية 1925م:** وتعتبر الجريدة الأولى التي تتحدّث باسم الإصلاحيين، والمثقّفين العائدين من جامع الزّيتونة، والأزهر، ومعاهد الشّام والحجاز، وقد وصفها ابن باديس ب "لسان حال الشباب النّاهض في القطر الجزائري"[2]، وقد ضمّت المنتقد جملة من فرسان الكلمة، منهم: مبارك الميلي، والإبراهيمي، والطّيب العقبي، والشّاعران محمد العيد، والهادي السنوسي، ولذلك "تعتبر المنتقد تحولاً مهماً في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر، لأنها تختلف كل الاختلاف عن الصّحف التي سبقتها في سلاسة الأسلوب، ومتانة اللغة، وعمق الأفكار"[3]، وهكذا استطاعت هذه الجريدة أن تحقق أعمالا هادفة، بتطبيق شعار **"الحقّ فوق كل أحد والوطن قبل كلّ شيء"**[4].
- **مجلة الشهاب 1925/11/12م:** صدرت هذه الجريدة في العام الذي أوقفت فيه جريدة المنتقد، التي تحوّلت إلى مجلة شهرية، شعارها **"تستطيع الظروف أن تكيّفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا"**[5]، وهذا إصرار على النّضال وعدم

---

[1] - عبد القادر فضيل، ومحمد الصالح رمضان، "إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس"، ص: 38.
[2] - "الشهاب"، ج1، م14، العدد07، مارس 1938م، ص: 01.
[3] - محمد ناصر، "الصحف العربية الجزائرية" 1847م – 1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر- 1979م، ص: 54.
[4] - عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، "إمام الجزائر"، ص: 38.
[5] - عمار بن مزوز، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، ص: 198.

الاستسلام، والمتصفّح لمجلة الشهاب يميّز أهمية مواضيعها، وأفكارها، فقد كانت بحق مرآة عاكسة لمواقف ابن باديس من القضايا العامة، وقضايا المجتمع، ومواقف الحكومة الفرنسية.

3-5 النوادي الثقافية:

ظهرت النوادي في الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وذلك عندما أخذ الشعب الجزائري يستعيد أنفاسه، ويلتحق بركب التعليم، فقد كان هدفها "استقطاب الشباب، وصقله بمبادئ الإسلام والعروبة حتى لا ينسلخ من دينه ويتنكّر لقومه ووطنه"[1].

وانتشرت النوادي الثقافية في مدن جزائرية كثيرة نذكر منها:

اسم النادي	المنطقة
نادي الترقي	الجزائر العاصمة
نادي صالح باي في سنة 1926م وأصبح يعرف بعد ذلك باسم عبد الحميد بن باديس	قسنطينة
النادي الإسلامي	ميلة
نادي التقدم	البليدة
نادي النجاح	سيدي بلعباس
نادي العمل	سكيكدة
نادي الشبان المسلمين	قالمة

وفي ظل هذه النوادي، نُظّمت أهم المحاضرات التي كانت أهم مواضيعها في تهذيب أخلاق الشباب، وتعريفهم بأنفسهم، وقيمتهم، ومنزلتهم في الأمة، وتجمع قوّتهم، ودروسا تعلّمهم بها دينهم، ولغتهم، وتاريخهم، فكان لمشروع النوادي آثار في الشبان تساوي آثار المدرسة في الأطفال.

[1] - بن خليف مالك، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، ص: 372.

وهكذا استطاع ابن باديس أن يُقدّم أعمالا جليلة، مستعينا بالله معتمدا على الأمة في تبليغ هذه الدّعوة العلمية، مُؤكداً استقلاله الفكري، وتميّز منهجه الإصلاحي، واستطاع على مستوى هذه الميادين الأربعة وغيرها من الميادين الثقافية أن يعمّم التعليم، وينشر به الوعي الذي من خلاله أدرك الجزائريون أن الجزائر جزائرية عربيةٌ إسلامية، وليست جزءا من فرنسا، وتطلّعت آمالهم إلى التحرّر، والاستقلال.

فما هي المنجزات التي حققها ابن باديس في المجال السياسي مرورا بهذه الإنجازات العلمية العظيمة؟

وفي تقديري وحدود معارفي، فإن التجربة السياسية عند عبد الحميد بن باديس، كانت مرسومة الخطة منذ بداية العمل الإصلاحي، وأن تطوير التربية والتعليم في مجتمع خاضع للاحتلال، يتطلّب صحوة دينية اجتماعية، ووعيا سياسيا، وكفاحا متواصلا.

وخلاصة القول أن كلاّ من العلم والدين، لا ينهض إلاّ بنهوض السياسة، لذلك وفّق ابن باديس بين هذه الأصول اعتمادا على مبادئ الشريعة التي وظفها لمقاومة سياسة الاحتلال.

4- البعد السياسي:

ظهرت في الجزائر على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس حركة إصلاح إسلامي، ذات نزعة وطنية جديدة، وتشكّلت من هيئات ثقافية، وسياسية، كانت لها قاعدة نضالية، أسهمت في إبرازها روح جهادية ضد المحتل، تواصلت من عهد الأمير عبد القادر (ت. 1300هـ/ 1883م)، وتأثرت بحركات التحرر في العالم، فتكوّنت منها الكُتل الحزبية التي نشطت في ظلّ الحركة الوطنية الجزائرية.

واضطر رجال جمعية العلماء إلى ممارسة السياسة عمليا كأفراد، فانتشرت فكرتهم الإصلاحية بسرعة في أنحاء القطر، فما هو موقف قائد الحركة الإصلاحية، ورئيس جمعية العلماء من الاستعمار؟، وكيف طبَّق منهجه النّضالي؟، وما هو دوره في الحركة الوطنية؟.

4-1 الوحدة الوطنية:

يَعتبر ابن باديس الوحدة الوطنية، فريضة دينية قبل أن تكون سلوكا مدنيا، لأنه استمدّ موقفه الدّفاعي من أصول السياسة في العقيدة، ومقاصدها في الشريعة، يقول ابن باديس: "الواجب على كلّ فرض من أفراد المؤمنين، أن يكون كل فرد من أفراد المؤمنين كالبنيان في التّضام والالتحام...ألاَ ترى البنيان كيف يتركّب من الحجارة الكبيرة، والحجارة الصّغيرة، والمواد الأخرى...وكل ذلك مُحتاج إليه في تشييد البنيان، فكذلك مجتمع المؤمنين، فإنه متكوّن من جميع أفرادهم على اختلاف طبقاتهم، فالكبير والجليل له مكانه، والصّغير والحقير له مكانه، وعلى كل واحد منهم أن يسدَّ الثّغرة التي من ناحيته..."[1].

إن الوطنية في نظر ابن باديس غريزة مركوزة في النفوس، تجعل صاحبها يتشبّث بالأرض التي وُلد، ونشأ، وعاش فيها من بني جنسه، وقومه الذين تربطهم به وحدة المصالح والمصير، ومع تأكيد ابن باديس على الروابط الاجتماعية، وضرورة التّفتُح على العلوم، والحضارة، والخبرة البشرية المتطورة، فإن وطنيته الاسلامية لا تنفصل عن قيم الأصالة والتراث، بل تقوم أساساً على وحدة الفكر، والمشاعر، والعقيدة، واللغة، وهي أسسٌ تحافظ على وحدة المجتمع، والتّآزر ضد

[1] - "الشهاب"، ج7، م7، ربيع الأول 1350هـ/ جويلية 1931م، ص: 430.

أي خطر يهدّد كيان الأمة، وهويتها، ومن وصايا ابن باديس إلى المسلم الجزائري ما يلي: "حافظ على حياتك، ولا حياة لك إلاّ بحياة قومك ووطنك، ودينك، ولغتك، وجميل عاداتك"[1]، ويُعدُّ هذا المبدأ الدّفاعي عن كيان الجزائر، من أهم المحاور السياسية لبرنامجه الإصلاحي، ويتّسع مفهوم الوطنية في فكر ابن باديس حتى يشمل النصراني، واليهودي، المجوسي، ما لم يقترفوا ظُلما، أو خيانة للوطن الاسلامي، فخط التّمايز في المواطنة بين أفرادٍ من أديان شتّى عند ابن باديس، هو خطٌّ سياسي يفصل بين معسكر المظلوم، ومعسكر الظّالم"[2].

ويُرشد ابن باديس الفرد الجزائري، إلى خلق سياسي رفيع، وذلك أن لا يكون حبُّ الوطن دافعاً لكره الأوطان الأخرى، يقول في ذلك: "إنّنا نحبُّ الإنسانية ونعتبرها كُلاًّ، ونحبُّ وطننا ونعتبره منها جزءا، ونحبُّ من يحبُ الإنسانية ويخدمها، ونبغض من يبغضها ويظلمها..."[3].

وبهذه الصراحة والنظرة الواقعية، تفانى ابن باديس في خدمة الدين والوطن، وعاش يسعى لتحقيق فكرته الإصلاحية التجديدية، وقاوم التنصير، والتجنيس، والفرنسة، في ظروف سياسية صعبة، وتحت قوانين تعسُّفية جائرة، فالمُستعمر لم يغفل، ولم يتهاون إلى حدِّ الآن إلى تطبيق سياسة التّفرقة، وتشتيت الصفوف، وتمزيق وحدة الشعب بوسائل شتى وأساليب متنوعة منها:

- تشجيع الخلافات وتغذية الصراعات، لإضعاف الروح الدينية والوطنية.
- إثارة العصبيات العرقية، إحياء اللّهجات المحلية لمقاومة العربية.
- بعث الصراع بين العنصرين: الأمازيغي والعربي.

وقد تصدّى الإمام ابن باديس للدّفاع عن وحدة الجزائر، مبيّنا أن الاسلام ألّف بين العنصرين الأمازغي والعربي، فاتحدا في العقيدة واللغة، وتكوّن شعب جزائري عربي مسلم.

وهكذا يتبيّن أن فكرة الوطنية عند ابن باديس، بعناصرها المادية والمعنوية ليست تقليدا للمفهوم الأوربي، الذي انجذبت إليه النخبة السياسية في عهده، وإنما

---

[1] - "الشهاب"، العدد 49، 15 صفر 1345هـ/ 23 أوت 1926م، ص: 03.
[2] - محمد الميلي، "ابن باديس وعروبة الجزائر"، ص: 65.
[3] - "المنتقد"، العدد الأول، ذي القعدة 1343هـ/ جويلية 1925م، ص: 01.

هي ذات جذور تاريخية، وأبعادها نفسية فكرية دينية، وهي معاناة سياسية تُعبِّر عن هموم الشعب وآماله، وبهذه الرؤية السياسية دافع الشيخ عبد الحميد عن الوطنية الاسلامية، وعن حق الجزائر في التمسك بذاتيتها، واتّخذ من المبادئ الثلاثة: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"[1]، محاور لبرنامجه الإصلاحي، ونشاطه في جمعية العلماء، وهو الذي حدّد شروط الانتساب للوطن بقوله: "إنما يُنسَبُ للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي، ومصالح الحاضر، وآمال المستقبل، والنّسبة للوطن تُوجب علم تاريخه، والقيام بواجباته من نهضة علمية، واقتصادية، وعمرانية، والمحافظة على شرف اسمه وسُمعة بنيه، فلا شرف لمن لا يُحافظ على شرف وطنه، ولا سُمعة لمن لا سُمعة لقومه"[2].

وهكذا ترسّخ مفهوم الوطنية لدى الأمة الجزائرية، وأدركت خصائصها التاريخية، وروابطها الدينية القائمة على أسس الوحدة اللغوية العربية، والوحدة الدينية الاسلامية، والتاريخ المشترك، فما العلاقة إذاً بين الوطنية والقومية في فكر ابن باديس؟.

4-2 القومية العربية والجامعة الاسلامية:

من شروط النهضة الحضارية في نظر ابن باديس، توفير عناصر الوحدة الشاملة، ولا تعارض في تفكيره السياسي بين الوطنية القطرية، والجنسية القومية، والنزعة الإنسانية، ووحدة العرب، ونهضتهم وسيلة إلى تحقيق الجامعة الإسلامية.

وقدّم ابن باديس حقيقة العرب، فقدّم عنهم في مجالس التّذكير صورة مغايرة، ورأى أنهم مظلومون في التاريخ، ولم يُنصفهم إلاّ القرآن الكريم، حيث بيّن فضائلهم الإنسانية، وعظمة مدنيتهم قبل الإسلام، وهذه الحقائق القرآنية تُثبت في نظر الشيخ عبد الحميد استعداد العرب للحضارة، وتُوجب على المسلم أن يعتني بتاريخهم القديم لارتباطه بتاريخ الإسلام"[3]

---

[1] - "ابن باديس حياته وآثاره"، ج3، ص: 265.
[2] - "الشهاب"، ج10، م5، جمادى الثانية 1348هـ/ نوفمبر 1929م، ص: 11.
[3] - يُنظر "ابن باديس حياته وآثاره"، ج4، ص: 56 – 62 – 66 – 76.

وبما أن كلاً من الوطنية، والقومية، والإنسانية تنصهر في العقيدة، فإن الوحدة الدينية أساس الوحدة في غيرها، وكان رأي ابن باديس في أن الوحدة الثقافية الروحية بين أقطاب المغرب والشرق موجودة، ومتواصلة، وتزداد متانة بازدياد مقاومتها، أما الوحدة السياسية فلا تكون إلاّ بين شعوب حرّة مستقلة ذات سيادة تسوس نفسها وتتحكّم في قراراتها، وتدافع عن خططها داخليا وخارجيا، ومن المستحيل تصوّر وحدة مع بلدان عزلها المستعمر، وحارب فيها عروبة الإسلام المبنية على العلم، والأخلاق، ومسخ مقوماتها حتى أصبح الإحساس بالعروبة والإسلام فيها، وخاصة في الجزائر، يُظن أنه قد مات في قلوب أبناءها"[1].

وحتى تتحقق الوحدة السياسية المرجوة في رأي ابن باديس، يجب الشعور بها، وإيقاظ شعوبها، وإنهاضها، وتوحيدها، وذلك يتطلب البدء بتعليم العربية والدين الصحيح، وإحياء مشاعر العروبة والإسلام، وبهذه النظرة الواقعية للأمة العربية، فكّر الشيخ عبد الحميد في كيفية تحقيق الجامعة الإسلامية، فقال: "وينبغي أن يعلم أن المراد بالجامعة الإسلامية، هو جمع قلوب المسلمين على المحبة، والخير لأنفسهم وللناس أجمعين...وإنما كانت خدمة هذه الجامعة متحتّمة، لأن عَالماً عظيما كالعالم الإسلامي لا يُرجى منه نفعٌ لنفسه ولا لغيره مادامت قلوب أهله متفرقة"[2].

دافع ابن باديس عن قومية الأمة الجزائرية، التي تختلف عن فرنسا بمقوماتها التاريخية، التي تميّزت بها على مرّ العصور، ولن تستطيع أي سلطة استعمارية محوها وإزالتها، قال الشيخ عبد الحميد في ردّه التاريخي على سياسة الحكومة الفرنسية، والاندماجيين المؤيدين لها: "هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها، ولا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود ومعيّن، هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة"[3].

---

[1] - يُنظر "الشهاب"، ج9، م12، ص: 400 – 403، وج8، م13، ص: 307.
[2] - "الشهاب"، ج7، م6، ص: 458.
[3] - "ابن باديس حياته وآثاره"، ص: 117 – 119.

إن صاحب هذا التفكير الذي يُعبر عن حقيقة موقفه السياسي، الذي لا يمكن أن يتحالف مع السلطة الاستعمارية، ولا مع الاندماجيين ضد مصالح الأمة وحقوقها، كما أوهم بذلك خصوم الإصلاح.

4-3 دور ابن باديس في المؤتمر الإسلامي:

إن ابن باديس أوّل من دعا في الصحافة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري، يضمّ كل القوى السياسية على اختلاف مشاربها، وبرامجها، انعقد المؤتمر الإسلامي يوم 07 جوان 1936م، بمدينة الجزائر وحضره وفد جمعية العلماء المتكوّن من: ابن باديس رئيسا، والشيخين البشير الإبراهيمي والطيّب العقبي، ووفد جمعية النُّواب، والشبان المنخرطون في الحزب الشيوعي الفرنسي"[1]، وتمّ الاتّفاق في المؤتمر على مطالب ثقافية، وسياسية منها:

- إجبارية التّعليم.
- حرية الاعتقاد والقضاء.
- المساواة في الحقوق مع إلغاء القوانين الاستثنائية الخاصة بالمسلمين.

وقد دافع العلماء عن المطالب التي تحمي كيان الشعب الجزائري، ومقوماته الذاتية، والثقافية، والروحية، وانتقد ابن باديس الإصلاحات الاقتصادية الحكومية، المبنية في رأيه على سياسة ملء البطون، وتجاهل الحقوق السياسية والمدنية الضرورية في حياة الأمم"[2].

فالعلماء إذاً لم يكونوا ينتظرون من سلطة الاحتلال أن تلبّي مطالب الشعب، وإنما ناوروها وسايروا الرّأي العام للإقناع بأن لا حقوق تُرجى من المستعمرين، وللدليل على ذلك قول ابن باديس: "إننا صبرنا على أحزاب اليمين مائة وسبعة من الأعوام لم نرَ منها شيئا، فلنصبر على أحزاب اليسار عاما وسبعة أشهر، فنرى ما قيمة وعودها، وثمّ يكون للأمة بعد ذلك موقفها"[3].

---

[1] - يُنظر "الشهاب"، ج1، م11، ص: 44 – 46.
[2] - "ابن باديس حياته وآثاره"، ج3، ص: 180.
[3] - "الشهاب"، ج3، م12، ص: 163 – 164.

وهكذا بدأ ابن باديس موقفه السياسي الجديد بعد التّأكد من عدم تحقيق المطالب، وهو حتمية الانفصال عن فرنسا ولو بركوب حدّ السّيف.

❖ نتائج المؤتمر وانعكاساته على الحركة الوطنية:

فشل المؤتمر في توحيد القوى السياسية، وتشتّتت آراؤهم، إلاّ أنه حقّق مبادئ الشهاب، والغاية من انعقاده:

- الدفاع عن الأمة المهدّدة بالفناء.
- يُعتبر أهم حدث تاريخي في الجزائر منذ احتلالها.
- أكبر إنجاز في حياة ابن باديس السياسية، لتحقيق مبادئ الإصلاح وغاياته، ولا سيما بفرض مطالب الشعب الذي كان مجهولا، ومُستبعداً من برامج الأحزاب"[1].

ويعترف ابن باديس بأن مشاركته في المؤتمر كانت من أجل المبادئ والغايات المذكورة، ونظر إليه بفكره وحدسه السياسي الثّاقب، نظرة واقعية، ورآه مرحلة نضالية تؤدّي إلى نتائج، وأهداف بعيدة المدى، وبتعبيره: "هو مجردّ خطوة، وبعدها إما الحياة وإما المماة"[2].

وهكذا يؤكد ابن باديس أنه كان يُضمر نيّة الدعوة في المراحل التالية من مراحل النضال، إلى الانفصال عن فرنسا، والاعتماد على النفس في نيل الحقوق المغتصبة، ولا يمكن تحقيق هذه المطالب إلاّ بالثّورة المسلّحة التي من أجلها عمِل ابن باديس على تهيئة الشعب، وإعداده فكريا، وثقافيا، وسياسيا، وأبرز موقفه وتجربته السياسية بحنكة وجدارة، وبوعي سياسي، وفكر ثوري تحرّري ليتدرّج بالأمة إلى غايات، ومراحل محدّدة ومعدّة بعناية وتبصر للأخطار.

وأيّاً كانت نتائج المؤتمر الإسلامي الظرفية فإن العلماء حققوا غاياتهم من انعقاده، وهي إثبات أن للجزائر كياناً ذاتياً، ووجودا تاريخيا ثقافياً حضارياً، لا يمكن محوه أو تجاوزه.

---

[1] - يُنظر "الشهاب"، ج6، م12، ص: 272.
[2] - المصدر نفسه، ص: 127.

خاتمة

خاتمـــــة:

اتجهت اهتمامات الفكر الإصلاحي الباديسي إلى إحداث تفاعل بين رؤى فكرية، وأبعاد دينية، واجتماعية، وتربوية تعليمية، وسياسية، وبعد هذه الدراسة لمذهب الإصلاح الإسلامي عند الإمام ابن باديس، ومنهجه التّكاملي القائم على الأصالة والمعاصرة.

اتّضح لي أن فكره الإصلاحي، استند إلى خلفية تاريخية إسلامية متينة، وقام على رصيد معرفي صحيح، ومنهج استقى أصوله من آراء المجتهدين والمذاهب الإسلامية، مكّنته من إدراك مشكلات النهضة الحضارية، وربطها بأصول الشريعة نظريا وعلميا، تستجيب لمتغيرات الحياة العصرية.

وكان مفهومه الإصلاحي ذا معنيين يخدمان هدف واحد، هو إنهاض الأمة وترقيتها، فالأول: ديني اعتقادي غايته تجديد منهج التّفكير عند أئمة الإصلاح، وذلك بالرجوع إلى مصادر العقيدة وأصولها العقلية والنقلية، من خلال مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، والحديث النبوي الشريف، أما الثاني: اجتماعي يبدأ من التّغيير النفسي إلى الأخلاقي والتربوي، والثقافي، والسياسي، وغيرها من جوانب النّهضة والرّقي، أي تغيير الفرد وتجديد بنيته الفكرية ، والنّفسية للتأثير في حركية المجتمع، والتّفتُّح على المدنية الجديدة وفق مبادئ وقيم اسلامية.

نادى ابن باديس بالعلاج القرآني قياسا على مجتمع السّلف الصالح، ومرحلة الخلافة الرّاشدة، كما استطاع أن يؤسّس منهجا وقف في وجه التّحديات الحضارية الغربية، تجلّت واضحة في مشروعه الحضاري.

ففي المجال الديني عمِل على تغيير المفهوم الديني السائد، بمحاربة الطرقية التي شوّهت معالم الإسلام، بما أدخلته من خرافات وبدع، والدعوة إلى استقلالية الشؤون الإسلامية عن الإدارة الفرنسية، داعياً المثقّفين إلى الحفاظ على مقوّمات الأمة، والسّير بها في موكب المدنية الحقَّة.

وضّح الإمام وجمعيته الإسلامية، بأن الإسلام هو دين الله الذي يدعو إلى الأخوة، ويسوي في الحقوق الإنسانية، ويُمجّد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير، فلم يعارض العقل في منطلقاته الاجتهادية، وحرص على حلقات التفسير ضمن مجالس التذكير، وأكّد على استنباط الأحكام من الآيات الخاصّة بالأنفس، والأكوان، والعمران.

خاتمـــــة:

وفي المجال الاجتماعي فقد تأثر ابن باديس بالحياة الاجتماعية للشعب الجزائري، وأثّر فيها، ودعا إلى ضرورة تنظيم حياة المسلمين الاجتماعية وفق المبادئ الإسلامية الصّافية، فتربيتهم، وتكوينهم، وإصلاحهم معناه تهيئة الظروف لمستقبل واعد يحقّق للأمة آمالها، وطموحاتها.

ومن هنا كان إصلاح الفرد هو الأساس، ثمّ بناء المجتمع الذي يحتاج إلى عمل جماعي دؤوب، تتكاثف فيه جهود أفراد الشعب في شتّى المجالات حتّى تقوى عزائمهم، وينصلح تفكيرهم.

واقترح الشيخ عبد الحميد حلولا عملية، لتنظيم العلاقات بين الأفراد، والجماعات، والأمم، تقوم على منهج روحي، وأخلاقي أساسه الإسلام الذّاتي لا الوراثي.

أما على الصّعيد التّعليمي فقد بدل الشيخ في إنجاحه مجهودات عظيمة، باعتباره أساس البناء الحضاري القادر على إحداث التغيير الإيجابي، ومن المميزات البارزة فيه: العودة إلى التعليم المسجدي، والحرص على إعطاءه وظيفة التّعليم لتثقيف العقل، وتقويم الأخلاق، كما انتقد طُرق التعليم القديمة، والبرامج الدراسية، داعيا في ذلك إلى تقديم القليل من العلم مع التركيز على المعنى، الذي القصد من وراءه توعية الفرد وغرس فيه الأفكار الصحيحة، والإصرار على تعليم اللغة العربية، وتطهيرها من الدّخيل، وتربية ملَكَة الذّوق لدى النشء العربي المسلم.

كما بيّن ابن باديس دور الصحافة وما لها من أهمية في نشر الوعي، وتنوير الفكر، والحفاظ على الدين، ومقومات الأمة، ومن أهم الجرائد التي أرّخت لفترة العشرينات، والثلاثينيات من القرن الماضي: "جريدة الشهاب"، التي تحوّلت فيما بعد إلى مجلة، ثمّ يُختم الدور الإعلامي التثقيفي عند ابن باديس بجريدة "البصائر"، وهي أكثر الصحف العربية شهرة وتأثيرا في الأحداث الوطنية.

بالإضافة إلى تأسيس النوادي والجمعيات الثقافية، التي كان هدفها استقطاب الشباب، وصقله بالمبادئ الإسلامية الصّحيحة.

خاتمـــــة:

ونخلص إلى الميدان السياسي الذي دافع فيه الإمام ابن باديس طوال حياته النضالية، عن المقومات التاريخية للشعب الجزائري، وهويته العربية الإسلامية، وعارض سياسة الفرنسة، والتجنيس، والإدماج معرضة ضريحة في كل مراحل تطوّر حركته الإصلاحية.

وهكذا أكمل الشيخ حياته في خدمة الأمة، والدين، ونشر العلم الذي هو سلاحها، وأحد أسباب نهضتها، وقوتها، وتقدّمها، فقد وضع رجاءه خاصة في الشباب الذي لم تُلوّثه ثقافة المستعمر وسياسته، وقد سجّل ذلك في قصيدة له مشهورة، أتّخذت نشيداً بعنوان: "شعب الجزائر مسلم"، دعه فيه إلى الاستعداد لخوض المعارك، واقتلاع جذور الخائنين، وهزّ نفوس الجامدين، وقطع على نفسه عهداً أن يعمل لعزّة الجزائر والعرب، ويعيش هاتفاً بحياتهما.

وهنا نتساءل: هل استطاعت الحركة الإصلاحية التي قادها ابن باديس أن تقترح مشروع مجتمع متميز مستقل، ومنهجا حضاريا طويلا المدى، مغايرا للنظرة الحزبية الضيّقة؟، وعلى عموم القول فإنّ تأثير الحركة الإصلاحية الباديسية بدا واضحا في الكتل السياسية، التي كانت تفتقر إلى قاعدة ثقافية، وتاريخية، واجتماعية صحيحة، وإلى رؤية فلسفية، تقوم على معرفة بأصول المدنية، والتّطور، وبآليات الصراع مع الأقوى من أجل البقاء.

وبعد عرض هذه الجوانب الحضارية في مشروع ابن باديس الإصلاحي، التي حاولتُ من خلالها أن أزيح اللّثام عن جواهر هامة في أعمال الشيخ عبد الحميد بن باديس، مازال في هذا البحث بعض الأسئلة التي يمكن أن نجد لها جوابا في المستقبل، وهي هل يمكن أن نستفيد من الآراء والمناهج السابقة لوضع حلول لمشكلاتنا اليوم؟، هل صحيح أن من يرجع إلى العقيدة ومصادرها الأولى رجعيٌّ معارضٌ للعقل والعلم والتقدم؟، وهل حقّق المسلمون نهضتهم بعد ما تركوا حكمة الإسلام ونظامه؟.

قائمة المصادر والمراجع:

✓ القرآن الكريم، رواية حفص.
✓ الحديث الشريف.

1- ابن باديس (عبد الحميد)، "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، جمع وترتيب محمد شاهين، منشورات المعارف، الرغاية – الجزائر-، (د،ط)، 1988.

2- ابن خلدون (عبد الرحمن): "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ج1، دار الحزم للطباعة والنشر – بيروت- ط1، 2003.

3- "المقدمة"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – 2007.

4- ابن خليف (مالك)، "الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس"، دار طليطلة - الجزائر- ط1، 1432هـ/ 2010م.

5- ابن رحال (الزبير)، "الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية"، 1940/ 1989، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة – الجزائر- .

6- ابن سمينة (محمد)، "أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، المضمون وصورة التعبير"، ج1، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى - الجزائر- (د،ط)، (د.ت).

7- ابن عاشور (الفاضل)، "الحركة الأدبية والفكرية في تونس"، - القاهرة- ط1، 1955.

8- ابن عمار (الصغير)، "الفكر العلمي عند ابن خلدون"، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- ط3، 1984.

9- ابن عمر (باعزيز)، "من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي"، منشورات الحبر، ط2، 2007.

10- ابن قينة (عمار)، "صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام وقضايا ومواقف)"، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- 1993.

11- ابن كثير، "تفسير القرآن الكريم"، دار الكتب العلمية، م4 – بيروت- 2006.

12- ابن مزوز (عمار)، "عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة – تيزي وزو- 2010.

13- ابن منظور، "لسان العرب"، المجلد2، دار صادر للطباعة والنشر، ط1 - بيروت- لبنان- د.ت.

14- ابن نبي (مالك)، "ميلاد مجتمع"، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر – سوريا- 1962.

15- بو صفصاف (عبد الكريم)، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية"، دار البعث – قسنطينة- ط1، 1401هـ/ 1981م.

16- "حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس، وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية"، 1849/ 1940، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007.

17- التبسي (العربي)، "مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر"، جمع وتعليق شرفي أحمد الرفاعي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة – الجزائر- ط1، 1404هـ/ 1981م.

18- تركي (رابح)، "الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر"، وزارة المجاهدين، الذكرى 45 لعيد الاستقلال والشباب، ط5، 1422هـ/ 2001م.

19- "عبد الحميد باديس باعث النهضة الإسلامية في الجزائر المعاصرة"، دار موفم للنشر والتوزيع، ط2، 2003.

20- تشيكو (آمنة)، "مفهوم الحضارة عند مالك ابن باديس وأرنولد توينبي"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- 1989.

21- التهامي (ابراهيم)، "الجوانب العقدية في جهود الإمام عبد الحميد بن باديس الإصلاحية"، دار قرطبة للنشر والتوزيع.

22- جاكسر (لحسن)، "نشاط جمعية العلماء المسلمين"، ج1، في معسكر 1931 – 1956م، دار الغرب للنشر والتوزيع – وهران-.

23- الجزار (أحمد محمود)، "الإمام المجدد ابن باديس والتصوف"، سلسلة دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر.

24- الجزائري (محمد عبد الكريم)، "الثقافة ومآسي رجالها"، شركة الشهاب - الجزائر- (د.ت).

25- الحسني (محمد الهادي)، "أشعة الشروق"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010.

26- خرفي (صالح)، "صفحات من الجزائر"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر- (د.ت).

27- الخطيب (أحمد)، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، 03 شارع زيروت يوسف – الجزائر- (د،ط)، 1985.

28- الخطيب (سليمان)، "أسس مفهوم الحضارة في الإسلام"، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- (د.ت).

29- رضا (محمد رشيد)، "تفسير المنار"، دار المنار، م5، م6 -القاهرة- ط4، 1954.

30- زريق (قسطنطين)، "معركة الحضارة"، دار العلم للملايين – بيروت- 1964.

31- الزمخشري (أبو القاسم)، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، دار المعرفة – بيروت- (د.ت).

32- سالم (محمد بهي الدين)، "ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير"، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ/ 1999م.

33- السامرائي (نعمان عبد الرزاق)، "في التفسير الإسلامي للتاريخ"، دار الشهاب، باتنة – الجزائر- (د.ت).

34- سعد الله (أبو القاسم)، "الحركة الوطنية الجزائرية"1930/ 1945م، ج3، مطبعة البجلاوي، البولاقية – مصر- 1975.

35- سلوادي (حسن عبد الرحمن)، "عبد الحميد بن باديس مفسرا"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- (د،ط)، 1984.

36- شريط (عبد الله)، "الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر- ط2، 1981.

37- الصديق (محمد الصالح)، "الإمام ابن باديس من آرائه ومواقفه"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر- ط1، 2007.

38- الطالبي (عمار)، "ابن باديس حياته وآثاره"، ج1، ج2، ج3، ج4، دار الغرب الإسلامي – لبنان- ط2، 1983.

39- طهاري (محمد)، "الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر"، دار الأمة للنشر والتوزيع، (د،ط)، (د.ت).

40- "مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- ط2، 1992.

41- عباس (محمد)، "البشير الإبراهيمي أديبا"، دار الفجر، ديوان المطبوعات الجامعية – وهران-.

42- العقاد (صلاح)، "الجزائر المعاصرة" معهد الدراسات العربية – القاهرة- 1963/ 1964.

43- فضيل (عبد القادر)، و رمضان (محمد الصالح)، "إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس"، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998.

44- فلوسي (مسعود)، "الإمام عبد الحميد بن باديس (لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده)"، دار قرطبة للنشر والتوزيع – الجزائر- 2006.

45- قاسم (محمود)، "الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية"، دار المعارف – مصر- 1968.

46- قليل (عمار)، "ملحمة الجزائر الجديدة"، ج1، دار البعث – قسنطينة- ط1، 1991.

47- لويس معلوف، "المنجد في اللغة والآداب"، المطبعة الكاثوليكية –بيروت- ط1، 1927.

48- مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط"، ج1.

49- المدني (أحمد توفيق)، "حياة كفاح (مذكرات)"، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- ط1، 1977.

50- "كتاب الجزائر"، دار الكتاب – الجزائر-، وطبع دار المعارف ب –القاهرة- 1983.

51- مطبقاني (مازن صلاح حامد)، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية"، 1349هـ - 1358هـ/ 1931م- 1939م، مؤسسة عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر- ط1، 2001.

52- "عبد الحميد بن باديس العالم الربّاني والزعيم السياسي"، مؤسسة عالم الأفكار والتوزيع، المحمدية – الجزائر- ط1، 2005.

53- الميلي (محمد)، "ابن باديس وعروبة الجزائر"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر- ط2، 1980.

54- هيشور (محمد)، "سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها"، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991.

55- الوردي (علي)، "منطق ابن خلدون في حضارته وشخصيته"، مطبعة جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية – القاهرة- 1992.

الكتب المترجمة:

1- توينبي (أرنولد)، "مختصر دراسة التاريخ"، ج1، ترجمة محمد فؤاد شبيل، طبعة الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية – القاهرة- 1961.

2-شبنجلر (أزفالد)، "تدهور الحضارة الغربية"، ج1، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت- 1934.

الدوريات

- الابراهيمي، "عيون البصائر"، السنة الثانية ،العدد 71 جوان 1937 .
- ابن باديس (عبد الحميد)، "البصائر" السنة الأولى، العدد الأول، والعدد 16، 24 أبريل 1936.
- "البصائر"، السنة الخامسة، العدد 226، 17 ابريل1953.
- " البصائر" السنة الثانية، العدد 83، 25 رجب 1356هـ/2 سبتمبر 1937م.
- *مجموعة مجلة الشهاب، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة، صدرت فيما بين 1347هـ/1929م-1358هـ/1939م*
- *المجلد 05.*
- *الجزء 10: جمادى الثانية 1348هـ 01 نوفمبر 1929م*
- *المجلد 06.*
- *الجزء 07: و.ج 12: ربيع الأول، شعبان / أوت و جاننفي 1349هـ/1930م.*
- *المجلد 07.*
- *الجزء 07: ربيع الأول 1350هـ/ جويلية 1931م.*
- *المجلد 11:*
- *الجزء 01: 10 محرم 1354هـ/ أفريل 1935م.*
- *ج6: جمادى الثانية 1357هـ/1938م.*
- *ج11: ذي القعدة 1354هـ/فيفري 1936م.*
- *المجلد 12:*
- *الجزء 03: ربيع الأول، جمادى الثانية وشعبان 1955هـ/ جوان وسبتمبر وديسمبر 1936م.*
- *المجلد 13:*
- *الجزء 02 و ج05 و ج07، صفر ، جمادى الأولى ، شعبان 1356هـ/أفريل، ماي، سبتمبر 1937م.*

- *المجلد 14:*
- *الجزء 04: وج05، ربيع الثاني وجمادى الأولى 1358 هـ/ ماي 1939م.*
- "مجلة الإرشاد"، السنة الأولى، العدد الرابع، رمضان/شوال 1410هـ/ أبريل، ماي 1990م.
- "السراط السوي"، السنة الأولى، العدد 4 اكتوبر 1933.
- "المنتقد"، العدد الأول، 2جويلية 1925.
- "مجلة الموافقات"، العدد 5 ، السنة الخامسة 1417هـ /1999 م.
- مجلة الوعي، "الإمام ابن باديس"، العدد1، رجب/شعبان 1431هـ/ جويلية 2010.

فهرس الموضوعات:

مقدمة أ

مدخل 01

1- مفهوم الفكر 02

2- مفهوم الإصلاح 05

3- مفهوم الحضارة 07

الفصل الأول: عصر العلامة عبد الحميد بن باديس

1- نشأة ابن باديس وحياته 12

✓ مولده ونسبه 12

2- تعليمه وأساتذته 15

✓ تعليمه 15

✓ أساتذته 16

3- رحلاته العلمية 20

✓ الرحلة الزيتونية 20

✓ الرحلة الحجازية 21

✓ عودة ابن باديس إلى الجزائر 21

4- عوامل تكوين شخصية عبد الحميد بن باديس 22

✓ العوامل المحلية 22

✓ العوامل الخارجية 25

5- وفاتـــــه 27

6- آثـــــاره 29

الفصل الثاني: واقع الجزائر ودعوة ابن باديس الإصلاحية

1- المشروع الاستعماري في الجزائر 33
- ✓ سياسة التنصير 33
- ✓ سياسة التجهيل 34
- ✓ سياسة التفقير ومصادرة الأراضي 34
- ✓ سياسة التجنيس والإدماج 35

2- فكر ابن باديس الإصلاحي 35
- ✓ الجوانب المميزة لفكر ابن باديس الإصلاحي 36
  - النزعة العلمية والمعرفية 36
  - النزعة الواقعية 37
  - النزعة المرحلية 38
  - النزعة العملية 39
  - النزعة الوحدوية 40
  - النزعة الإنسانية 41

3- جمعية العلماء المسلمين 42
- ✓ الفكرة والتسمية 42
- ✓ تأسيس الجمعية 44
- ✓ أصول ومبادئ الجمعية 46
- ✓ القانون الأساسي للجمعية 47
- ✓ الأهداف العامة للجمعية 49
- ✓ جرائد الجمعية 49

الفصل الثالث: الأبعاد الحضارية في فكر ابن باديس الإصلاحي

1- البعد الديني 53
- ✓ مبدأ التأصيل 54

✓ الاجتهاد ودوره في البناء الحضاري 55
✓ مجالس التذكير 57
2- البعد الاجتماعي الأخلاقي 64
✓ إصلاح الفرد والمجتمع 64
✓ الأخلاق من منظور ابن باديس 65
✓ مجالات التربية الأخلاقية 66
✓ حفظ الحقوق واحترام الحريات 70
3- البعد التعليمي 72
✓ التعليم المسجدي ومؤسساته 72
✓ التعليم المدرسي 75
✓ تعليم المرأة 78
✓ الصحافة 79
✓ النوادي الثقافية 81
4- البعد السياسي 83
✓ الوحدة الوطنية 83
✓ القومية العربية والجامعة الإسلامية 85
✓ دور ابن باديس في المؤتمر الإسلامي 87
خاتمـــــة 89
قائمة المصادر والمراجع 93
فهرس المـوضـوعـــات 101